لغز الساعة السادسة



محمود سالم

لغز الساعة السادسة

تأليف
محمود سالم



لغز الساعة السادسة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩ ٢٤٠٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

ذكريات جميلة

جلست «لوزة» وحيدةً في حديقة منزلها. كان شقيقُها «عاطف» قد ذهب في رحلةٍ بالدرَّاجة مع بقيَّة الأصدقاء؛ «تختخ» و«محب» و«نوسة» على الكورنيش، أمَّا هي فبقيت في الحديقة تنتظر حضور صديقتِها «سحر» التي حدَّثَتْها تليفونيًّا، وقالت إنها تُريدُها لأمرٍ مُهِم.

كانت حديقة منزلها هي المكان الذي يجتمع فيه المغامرون دائمًا؛ فقد كانت حديقةً واسعة، ترتفع أشجارُها، وتلتفُّ أغصانُها، وتتكاثر بين أعشابِها الخضراءِ الأزهارُ الحمراءُ والصفراءُ والزرقاء، فتُحِيلُها إلى شِبه بِساطٍ جميلٍ من صنع الخالق العظيم.

ومالَت الشمس إلى المغيب، وهبَّت نسمةٌ رقيقةٌ باردةٌ لطَّفت الحرارة التي شملت المعادي طول النهار، وتذكَّرت «لوزة» أُمسيةً مُماثلةً قضتها في حديقة قصر البارونة «شيليا» في فينسيا، وتذكَّرت المغامرات التي مرَّت بها في أثناء رحلتها هي والأصدقاء إلى إيطاليا؛ حيث كانوا في ضيافة عم «تختخ» في ميلانو.

قالت «لوزة» لنفسها: لقد رَوَيتُ ذكريات هذه الرحلة المُمتعة لكلِّ الأصدقاء، ولكنني لم أروِها بعدُ لصديقتي «سحر»؛ فقد كانت في الإسكندرية، ولم أقابلها بعد، وستزورني «سحر» الآن وأروي لها كلَّ شيء … كل دقيقة، وكل ساعة، وكل يومٍ في تلك الرحلة المُمتعة.

وفي هذه اللحظة سمعت صوت صديقتها «سحر» تُناديها، وهي تجتاز باب الحديقة مسرعة … ولكن الذكريات الجميلة طارت من رأس «لوزة» عندما شاهَدَت وجه صديقتِها الشاحب، وقد بدت عليه آثارُ الخوف والفزع والدموع!

وقفت «لوزة» تتلقَّى صديقتها الصغيرة بالقبلات؛ فقد مضى وقتٌ طويلٌ منذ التقتا معًا.

دعت «لوزة» «سحر» إلى الجلوس قائلة: لقد أعددتُ لكِ طبقًا من «الجيلي» المُثلَّج؛ فإنني أعرف أنكِ تُحبِّينه. قالت «سحر» — وهي تُحاول أن ترسم على وجهها ابتسامة: شكرًا لك يا «لوزة». إنكِ دائمًا كريمةٌ وطيِّبة.

جلست «سحر» ساكنة، ولكن شيئًا فيها كان يبدو حزينًا، فقالت «لوزة»: ما لكِ يا «سحر»؟ إنكِ تبدين مهمومةً وحزينةً جدًّا ... ماذا حدث؟ هل الشيء الذي قلتِ إنه مهم، مُحزنٌ إلى هذا الحد؟

ردَّت «سحر» في صوتٍ خافت: جدِّي ... جدِّي ... «إلهامي» يا «لوزة»!

دقَّ قلب «لوزة» بعنف وقالت: ماذا حدث له؟

ردَّت «سحر» والدموع تتسابق على خدَّيها: يقولون إنه خرج منذ فترة ولكن ... ولكن ...

ولم تستطع «سحر» إتمام جملتها، وانفجرت باكية.

وقفت «لوزة» واحتضنت صديقتها بذراعَيها، وقالت تُهدِّئها: ولماذا تبكين؟ سوف يعود طبعًا.

مضت «سحر» تبكي لحظات، ثم أخذت تتمالك نفسها، وقالت: إنكِ تعرفين كم أُحبُّ جدِّي «إلهامي»! إنه حياتي كلُّها بعد وفاة أمِّي وأبي!

وتذكَّرت «لوزة» الرجل الطيِّب الأستاذ «إلهامي» ... وقالت وهي تُقبِّلها: لا داعي لهذا الخوف، وقولي لي ماذا حدث لجدِّكِ هذه المرَّة.

ردَّت «سحر»: عِشتُ مع جدِّي «إلهامي» العامَين الماضيَين في قصره ... وقد كان أمِّي وأبي وكلَّ شيءٍ في حياتي ... إنه كما تعرفين رجلٌ طيِّبُ القلب إلى أبعد حد ... ولكن بعد أن طعن في السِّن أخذَت ذاكرتُه تضعُف؛ صار ينسى الكثير من الأشياء ... ويخرج أحيانًا من القصر ويغيب أيَّامًا، ولا يعود إلا بعد أن يعثر عليه رجالُ الشرطة ... أو بعضُ من يعرفونه، أو يتذكَّر عنوان البيت.

لوزة: أعرف كلَّ هذا؛ فماذا حدث الآن؟

سحر: علمتُ أنه خرج منذ سبعة أيَّام ولم يعُد، وهي أطول فترةٍ غابها منذ عشت معه ... وأنا في غاية القلق.

لوزة: سوف يعود ... لا تقلقي، وسأتصل بالمُفتِّش «سامي» عندما يعود الأصدقاء، وسوف يعثر عليه رجال الشرطة.

سحر: أُحسُّ هذه المرَّة أن هناك شيئًا غير عاديٍّ قد حدث!

لوزة: لماذا؟

سحر: لقد حدثت أشياء كثيرةٌ في أثناء غيابِك تجعلني غيرَ مُطمئنَّةٍ إلى عودته ...

لوزة: ماذا تقصدين بهذه الأشياء الكثيرة؟

سحر: منذ شهرٍ تقريبًا زارنا بعضُ أقارب جَدِّي ... وهم ناسٌ لم أرَهم من قبلُ مطلقًا ... وقد دعاهم جدِّي إلى البقاء بعض الوقت، فقبلوا الدعوة، ولكنهم لم يتركوا القصر بعد ذلك، وأخذوا يتحكَّمون في كلِّ شيء ... وعندما انتهيتُ من الامتحانات، طلبوا مني أن أُسافرَ في رحلةٍ إلى الإسكندرية ... ولم أكن أرغب في الذهاب، ولكنهم صمَّموا على سفري إلى بعض معارفِهم هناك ... وقالوا لجدِّي إنني مريضةٌ من أَثَر المذاكرة والامتحانات؛ فوافق جدِّي على سفري؛ فسافرت.

وسكتت «سحر» لحظات، ثم عادت تقول: وعدتُ فلم أجد جدِّي الأستاذ «إلهامي» في القصر، وقالوا لي إنه خرج كعادته ولم يعُد ... ولم يكن ذلك شيئًا غريبًا؛ فكثيرًا ما خرج جدِّي كما قلتُ لك، وغاب ساعاتٍ أو أيَّامًا وعاد ... وأخذتُ أبحث عنه اليوم؛ فإنني أعرف بعض الأماكن التي يتردَّد عليها ... لكني لم أجده مطلقًا! ... وعندما عدتُ قالوا لي إنه لا مكان لي في القصر؛ فقد باع لهم جدِّي كلَّ ما يملِكُ من أرضٍ وعمارات، والقصر أيضًا، وطلبوا مني أن أبحث عن مكانٍ آخرَ أعيش فيه.

دُهشت «لوزة» عندما سمعت هذا الكلام، وقالت: شيءٌ غريب!

سحر: غريبٌ جدًّا؛ فليس من المعقول أن يفعل جدِّي الأستاذُ «إلهامي» هذا، ويتركني بلا مكانٍ ولا نقود!

وعادت «سحر» تبكي، وأخذت «لوزة» تحاول التسرية عنها، وهي حائرةٌ فيما يجب أن تفعله. وفجأةً سمعت أجراس الدرَّاجات ... لقد عاد بقيَّةُ المغامرين الخمسة.

دخل الأربعة الحديقة يبتسمون لصديقتهم الصغيرة «لوزة» ولضَيفتِها، ولكن ابتساماتهم الأربع لم تستطع محوَ الحزن الذي كان يكسو الوجهَين الصغيرَين الجميلَين. وقال «تختخ»: يبدو أن في انتظارنا أخبارًا سيِّئة!

وتقدَّم الأربعة، وتبادلوا السلام مع «لوزة» و«سحر»، ثم قال «تختخ»: ما لي أراكما حزينتَين؟ ماذا حدث يا «لوزة»؟

لوزة: إنكم طبعًا تعرفون «سحر» ... وتعرفون جدَّها الثريَّ الكبير الأستاذ «إلهامي» ...

محب: نعرفها طبعًا ... وقد زُرتُ قصر الأستاذ «إلهامي»، وهو حقيقةً تحفةٌ في فنِّ المعمار، بالإضافة إلى ما يملؤه من تُحَفٍ نادرة، ولوحاتٍ ثمينة.

لوزة: لقد خرج الأستاذ «إلهامي» من منزله منذ أيَّام، ولم يعُد حتى الآن ... و«سحر» تخشى أن يكون قد أصابه مكروه.

عاطف: ولكنني أسمع عن رحلات الأستاذ «إلهامي» التي تطول أيَّامًا يعود بعدها إلى قصره ... إن أكثرَ جيرانه ومعارفه يعرفون هذه الحقيقة، فلماذا هي خائفةٌ هذه المرَّة؟

لوزة: الحقيقة أن هناك أسبابًا تدعو إلى الخوف هذه المرَّة.

ثم روت «لوزة» للأصدقاء ما حدثتها به «سحر»، وكيف باع جدُّها «إلهامي» كلَّ ممتلكاته لهؤلاء الزوَّار الغرباء، وكيف أصبحَت «سحر» بلا مأوًى ولا نُقود.

ظلَّ «تختخ» يستمع بانتباه، ثم سأل في النهاية: أليس لكِ أقارب ... أعمام أو أخوال؟ ردَّت «سحر» في حزن: للأسف؛ إن أمِّي وحيدةُ والدَيها، وليس لها أخوات ... أمَّا عمِّي الوحيد فقد هاجر منذ فترةٍ طويلةٍ إلى الخارج، وانقطعَت أخباره عنَّا، ولا أعرف أين هو.

عاطف: على كلِّ حال ... إن منزلَنا هو منزلُك ... ويسرُّني أنا و«لوزة» أن تُقيمي معنا حتى نجد حلًّا لهذه المشكلة.

سحر: شكرًا كثيرًا!

محب: أنا على استعدادٍ أيضًا.

نوسة: وسيسرُّني هذا للغاية.

بكت «سحر» لكرم الأصدقاء، وقالت: سوف أُلبِّي دعوة «لوزة» وأبقى معها، باعتبارها زميلةً لي في المدرسة، ولكن المهم؛ ماذا ترون في هذه القصة التي رويتُها؟

سكت الأصدقاء لحظات، ثم قال «تختخ»: إني أُوافقكِ على أن المسألة فيها كثيرٌ من الغموض والغرابة ... وأشكُّ كثيرًا أن جدَّكِ «إلهامي» قد باع كلَّ ممتلكاته!

سحر: ولكني للأسف اطَّلعتُ على عقدٍ كتبه جدِّي ببيع ممتلكاته!

تختخ: وهل تعرفين إمضاءَه؟

سحر: نعم؛ فقد كنتُ أراه كثيرًا على الشيكات وغيرِها من الأوراق، هو بلا شكٍّ إمضاؤه!

الأثر المفقود

وقف «تختخ» قائلًا: إنني مضطرٌّ لترككم؛ فعندنا ضيوفٌ على العشاء، وقد طلب مني أبي أن أكون موجودًا.

محب: إن «سحر» مُتعبةٌ؛ فقد عادت اليوم من السفر، وأُفضِّل أن ترتاح، على أن نلتقي غدًا صباحًا.

وعندما وقفوا للانصراف قالت «نوسة» لـ «سحر» مُشجِّعة: تأكَّدي أن كلَّ شيءٍ سيُصبح على ما يُرام ... وسيبذل المغامرون الخمسة كلَّ جهدهم حتى يعثروا على جدِّك، وتعود حياتُكِ كما كانت.

شكرت «سحر» الأصدقاء، ثم دخلت المنزل مع «عاطف» و«لوزة»، في حين انصرف بقيَّة الأصدقاء؛ فركب «تختخ» درَّاجته، وسار في شوارع المعادي الهادئة، وكان الظلام قد هبط، والجو قد برد، فأخذ يُفكِّر فيما سمعه ... إنها قصة غاية في الغرابة ... هذا الجدُّ العجوز الطيِّب الذي يفقد ذاكرته أحيانًا ... وهذه الفتاة الصغيرة الوحيدة، وهؤلاء الزوَّار الغرباء الذين استولَوا على ما يَملكه العجوز! ... وعندما وصل إلى منزله كان الضيوف قد وصلوا، فأسرع إلى غرفته، حيث غيَّر ثيابه، ثم نزل إلى الصالون مسرعًا، وانضمَّ إليهم. كان ضيفهم هو الدكتور «ثروت»، وهو عالِمٌ نفسيٌّ مشهور ... وزوجته وابنته.

حيَّاهم «تختخ»، وجلس يستمع إلى الحوار الذي يدور بين والده والدكتور «ثروت» حولَ بعض أمراض النفس ... وتذكَّر الرجلَ العجوز «إلهامي»، الذي يفقد ذاكرته أحيانًا. ووجدها فرصةً سانحةً لمعرفة أسباب هذه الظاهرة المرضيَّة. وانتظر حتى انتهى النقاش بينهما، ثم سأل: لماذا يفقد الإنسان ذاكرتَه أحيانًا يا دكتور «ثروت»؟

ابتسم الدكتور «ثروت» قائلًا: إن الذاكرة كما تعلم جزءٌ من مُخِّ الإنسان، ومعنى الذاكرة هو القدرة على استرجاع المعلومات، أو الخبرات التي مرَّت بالإنسان ... وهذه

القدرة تختلف من فردٍ لآخر ... كما أن الإنسان يمكن أن يفقد هذه القدرة فترةً قصيرةً أو طويلةً لأسباب؛ منها إصابته في مكانٍ خاصٍّ في المُخ، أو إذا أجهد ذهنه إجهادًا شديدًا، أو إذا أُصيب ببعض الأمراض النفسيَّة.

تختخ: وهل لِكبر السن دخلٌ في هذا؟

الدكتور «ثروت»: طبعًا. إن الذاكرة كبقيَّة قدرات الإنسان وأجهزته تضعف مع تقدُّم العمر.

قال والد «تختخ» مُعَلِّقًا: ولماذا هذا السؤال عن الذاكرة يا «توفيق»؟ هل نسيتَ دروسك مثلًا؟

قال «تختخ»: لا، ولكن هناك مشكلةٌ تَشغل ذهني أُحاول أن أعرف عنها كلَّ ما يمكن من معلومات!

الوالد: لغزٌ كالعادة؟

تختخ: لم يُصبح لُغزًا بعد، ولكنه قد يُصبح لُغزًا غدًا، أو بعد أيَّام.

التفت الوالد إلى الدكتور قائلًا: إن «توفيق» من هُواة حلِّ الألغاز.

قال الدكتور «ثروت»: وأنا أيضًا، وعندنا عددٌ كبيرٌ من الروايات البوليسية أتسلَّى بها، ولكنها طبعًا لا تشغلني عن الكتب الأخرى.

الوالد: ولكن «توفيق» وأصدقاءه لا يكتفون بقراءة الألغاز ... إنهم يُشاركون في حلِّها عمليًّا!

الدكتور: ذلك شيءٌ مثيرٌ للغاية ... وما هو الغز الذي تحله الآن؟

تختخ: إنه لغز رجلٍ يفقد ذاكرته أحيانًا؛ فيخرج من بيته ولا يعود إليه إلا بعد فترة ... ونُريد أن نعثر عليه!

الدكتور: عليك أن تعرف كلَّ شيءٍ عن حياته؛ فقد يكون أُصيب بصدمةٍ نفسيةٍ شديدة ... هذا إذا لم يكن قد تعرَّض لأحد أسباب فقدان الذاكرة التي قلتُ لكَ عنها منذ قليل.

قال والد «تختخ» ساخرًا: وأسهل من هذا أن تُبلغ رجال الشرطة فيبحثون عنه!

ضحك الجميع، وأعلنت والدة «تختخ» أن العشاء جاهز، فقاموا جميعًا إلى غرفة الطعام. جلس «تختخ» بجوار «سامية» ابنة الدكتور «ثروت»، الَّتي أبدت إعجابها ﺑ «تختخ» والأصدقاء، وطلبت أن تنضم إليهم؛ فطلب منها «تختخ» أن تكتب اسمها وعنوانها ورقم تليفونها، ووعدها أن يتصل بها إذا احتاجوا إليها.

انتهى العشاء، وبعد أن قضى الضيوف بعض الوقت خرجوا عائدين إلى القاهرة، وصعد «تختخ» إلى غرفته، وهو مشغول بالأستاذ «إلهامي» وقصة غيابه، ونام وهو يحلم بمغامرةٍ مثيرة.

في صباح اليوم التالي اجتمع جميع الأصدقاء مُبكِّرين في حديقة منزل «عاطف»، ومعهم «زنجر» و«سحر» التي كانت أحسن حالًا بعد أن استراحت ونامت، وقال «تختخ»: سنزور القصر اليوم … إنني أُريد أن ألتقي بهؤلاء الزوَّار … ولْتُحدِّثنا عنهم «سحر»؛ حتى نعرف أكبر قدرٍ من المعلومات عنهم.

سحر: إن ما أعرفه عنهم قليل … إنهم ثلاثة … رجلان وامرأة … وأحد الرجلَين يُدعى «شاكر»، والثاني «الحكيم»، أمَّا السيدة فاسمها «لطيفة».

عاطف: لعلها أمنا الغولة كما يقولون في الخرافات!

سحر: إنها كذلك فعلًا!

وقف «تختخ» قائلًا: لنذهب فورًا إلى القصر؛ فإنني أخشى أن تحدث أشياء أخرى أخطر ممَّا حدث حتَّى الآن! … هيَّا بنا.

محب: هل نأخذ الدرَّاجات؟

تختخ: لا داعي لها … هيَّا نمشي … ما يزال الجوُّ لطيفًا.

وانطلقوا جميعًا مع «سحر» في طريقهم إلى قصر «إلهامي» في طرف المعادي.

بعد نحو ساعةٍ من السير وصلوا إلى المكان. كان قصرًا ضخمًا تُحيط به حديقةٌ واسعة، فصاحت «لوزة»: إنها أكبر حديقة منزل رأيتُها في حياتي! … إنها تشبه ملعب كرة القدم.

قالت «سحر»: لقد بنى جدِّي هذا القصر منذ نحو أربعين عامًا … وقد أنفق عليه الكثير ليكون تحفةً لا مثيل لها.

واقتربوا من بداية الحديقة … وكانت في انتظارهم أوَّل مفاجأة … لقد كان بابها الضخم مُغلقًا … وقالت «سحر» في دهشة: لم يحدُث أن أغلقنا باب الحديقة … إن ذلك شيء غريب!

ولكن المفاجأة الثانية كانت أكبر … فقد سمعوا صوتًا يُنادي من داخل سور الحديقة قائلًا: «سحر» … «سحر»!

التفت الأصدقاء جميعًا إلى مصدر الصوت، ومن بين الأشجار والأعشاب ظهر رجلٌ عجوز، ما كادت «سحر» تراه حتى صاحت: عم «مبروك» … عم «مبروك».

وأسرع الرجل إلى السور، ومدَّ يده، ومدَّت «سحر» يدها، وأخذا يتصافحان بحرارة … وقالت «سحر»: هذا عم «مبروك»، أقدم من اشتغل في القصر. لقد ربَّى أمِّي وربَّاني، وكان صديقًا لنا جميعًا، ومُخلصًا لجدِّي.

والتفتت «سحر» إلى «مبروك» وسألته: ماذا تفعل هنا؟

مبروك: لقد كنتُ أُراقب القصر منذ طردوني منه … إنني لا أثق فيهم مُطلقًا … إنهم أشرار … وقد قفزتُ من فوق السور، ودخلتُ لأرى ما يفعلون!

فقال «تختخ»: ألَا تقولين إنه يشتغل في القصر؟!

سحر: كان يشتغل، ولكن هؤلاء الثلاثة طردوا جميع العاملين القُدامى من القصر، وجاءوا ببعض أعوانهم، واحتلُّوا القصر!

مبروك: رحلوا جميعًا … رحل الثلاثة ورحل الشغَّالون، ولم يبقَ سوى رجلٍ واحد، وقد أغلق الباب منذ قليلٍ وخرج، ولا أدري أيعود الآن أم لا يعود!

ابتسمت «سحر» لأوَّل مرَّة منذ رآها الأصدقاء، وقالت: رحلوا وتركوا القصر! هذه مفاجأةٌ جميلة.

مبروك: ولكن يا سيِّدتي الصغيرة!

سحر: لكن ماذا؟

مبروك: لقد جاءوا ليلًا بسيارات نقلٍ كثيرة، وحملوا كلَّ شيءٍ مُهم، وفي الصباح الباكر تحرَّكت السيارات وبها حمولة ضخمة!

سحر: اللصوص! … اللصوص!

تختخ: إنني أُريد أن ندخل القصر.

مبروك: لقد أغلقوا جميع الأبواب!

سحر: ولكنَّهم نسوا أني أحمل مفتاحًا معي … إن معي مفتاح القصر!

لوزة: وكيف ندخل وباب الحديقة مغلق؟

محب: وهل هذه مشكلة؟ … سنقفز من فوق السور!

لوزة: ولكن قد يرانا أحد!

تختخ: سننتظر لحظةً مناسبة، ثم نقفز.

محب: لتبقَ «نوسة» و«لوزة» للمراقبة.

وأخذ الأصدقاء ينظرون حولهم في انتظار خُلُوِّ الشارع من المارَّة، وفي أوَّل فرصةٍ تسلَّقوا السور كالقرود، وساعدوا «سحر»، ثم هبطوا في الجانب الآخر، وانطلقوا يجرون ومعهم «زنجر»، وخلفهم عم «مبروك» العجوز يُحاول أن يلحق بهم.

ووصل الأصدقاء إلى باب القصر، وأخرجت «سحر» من جيبها مفتاحًا أدخلته في القفل، ثم أدارته ففُتح الباب، ودخل «تختخ» يتبعه «محب» ثم «عاطف» و«سحر» و«مبروك»، وأغلقوا الباب.

كان القصر مُظلمًا من الداخل ... هادئًا ... فأسرعت «سحر» لتفتح النوافذ، ولكن «تختخ» صاح بها: لا تفتحي شيئًا! ... لا نُريد أن يعرف أحدٌ أننا هنا!

ومدَّ «تختخ» يده وضغط على مفتاح النور ...

الغرفة المغلقة

كان منظر القصر من الداخل مُحزنًا ... فقد نُزعت أكثر اللوحات من أماكنها، ورُفعت البُسط ... واختفى بعض الأثاث. وبدا واضحًا أن القصر الجميل قد تعرَّض لعملية نهب! ... ووقفَت «سحر» في وسط البهو الواسع مذهولة ... تُدير عينَيها في خوفٍ على الجدران العارية، والأرض المكشوفة ... والأماكن الفارغة ... وكان «زنجر» يجري هنا وهناك وكأنه يبحث عن شيءٍ ضائع.

قالت «سحر»: تعالَوا لنطوف بالقصر ... لا بد أنهم نهبوا كلَّ شيء!

وصعد الأصدقاء معها إلى الدور الثاني في القصر، ودخلوا غُرَفًا كثيرةً سُرِقَت منها أشياء، وبقيت أشياء أخرى. وعندما وصلوا إلى غرفة «سحر»، لم تملك نفسها من البكاء وهي ترى غرفتها العزيزة قد تعرَّضت لما تعرَّض له باقي القصر من نهب ... ثم وصلوا إلى غرفة نوم الأستاذ «إلهامي»، ووقفوا يتأملون ما حدث فيها ... كان كلُّ شيءٍ مقلوبًا رأسًا على عقب، وقال «تختخ»: هذه الغرفة بالذات تعرَّضت لتفتيشٍ دقيق ... لقد كانوا يبحثون عن شيءٍ يُهمُّهم.

ردَّت «سحر»: إن جدِّي لم يكن يحتفظ بشيءٍ في هذه الغرفة ... إن له غرفةً أخرى صغيرةً في الطابق الأرضي، ولكن أحدًا لا يعرف مكانها إلا أنا وهو!

تختخ: وأين هذه الغرفة؟

سحر: إنها غرفةٌ سريَّة بابها مخفيٌّ بمهارةٍ في ظهر دولاب المطبخ، ولا يعرفه أحد سواه، وكان جدِّي يقضي أغلب وقته هناك ...

عاطف: هل كان يكتشفُ شيئًا؟

سحر: لا ... لقد كان يُمارس هوايته المُفضَّلة في إصلاح الآلات الدقيقة، وبخاصة الساعات.

تختخ: وهل نستطيع دخول الغرفة؟

سحر: إنها تُغلق بقفلٍ من نوعٍ خاصٍّ ليس له مفتاح، ولكن له دائرةً من الأرقام، وإذا أَدَرتَ الأرقام الصحيحة فُتح القفل!

عاطف: إنه يُشبه قرص التليفون!

سحر: تمامًا!

تختخ: وهل تعرفين الرقم؟

سحر: لقد كان جدِّي يُغيِّر الرقم بين وقتٍ وآخر، وكان يخشى أن ينسى الرقم؛ ولهذا كان يكتبه ويُعطيني إيَّاه، وعندي في حقيبتي آخر رقمٍ أعطانيه، ولكن ذلك كان قبل سفري إلى الإسكندرية!

تختخ: على كلِّ حال يجب أن نرى مكان الغرفة السريَّة، ثم نُحاول في وقتٍ آخر فتحها.

ونزلوا جميعًا يتبعهم «زنجر»، ولكن في هذه اللحظة سمعوا صوت صفَّارة مُتقطِّعةٍ يأتي من عند سور الحديقة، فقال «محب»: إن الحارس الذي تركوه قد حضر، وهذه إشارةٌ من «نوسة» تُحذِّرنا. لنُسرِع بإطفاء الأنوار، ولْنختفِ في أيِّ مكان!

نزل «محب» في سرعة، وأطفأ نور البهو، ثم صعد إليهم سريعًا، ودخلوا أوَّل غرفةٍ قابلتهم، وأسرع «تختخ» يقف خلف الباب، بعد أن ردَّه وترك فتحةً صغيرةً يمكن أن يرى منها القادم.

فُتح باب القصر … وشاهد «تختخ» رجلًا يدخل، ثم يُغلق الباب، ويُضيء النور. أدار الرجل بصره في أنحاء القصر، ثم اتَّجه ناحية المطبخ، فقال «تختخ» هامسًا: لقد اتَّجه إلى المطبخ؛ لعلَّهم اهتدَوا إلى سرِّ الغرفة!

فقالت «سحر»: لا يمكن؛ إن جدِّي لم يكن يبوح بسرِّها لأيِّ مخلوقٍ سواي.

همس «عاطف»: لعله دخل ليأكل!

ولم يبتسم أحدٌ للنكتة إلا «زنجر»، الذي أخذ يُحاول الخروج، لكن «تختخ» أمسكه، وأخذ يربت عليه قائلًا: اهدأ يا «زنجر»، ليس هذا أوان الهجوم!

محب: إن علينا أن نُفكِّر كيف نخرج من القصر؛ فلن نبقى هنا إلى الأبد!

تختخ: معك حق … إنها مشكلةٌ فعلًا!

سمعوا صوت أقدام الرجل يصعد السلالم، فأسرع «تختخ» يُغلق الباب بهدوء، ووقفوا جميعًا بقلوبٍ مرتجفة يسمعون صوت الأقدام تسير أمام الغرفة.

همست «سحر»: لو فتح الباب ووجدنا لكانت مُصيبة!

تختخ: لا تخافي؛ إن في إمكاننا أن نتغلَّب عليه … لكن يُهمُّني ألَّا يرانا أحد حتى لا يأخذوا حذرهم!

وسمعوا صوت الأقدام تقترب ... ثم وقفَت أمام الغرفة، وحبسوا أنفاسهم جميعًا، ورفع «زنجر» أذنَيه ... لكن الرجل مضى يسير، ثم غاب صوت الأقدام.

وقف الأصدقاء ينظرون بعضهم إلى بعض، وهم جميعًا يُفكِّرون في شيءٍ واحد ... كيف يخرجون بدون أن يراهم هذا الحارس اللعين!

وعاد صوت الأقدام مرةً أخرى ... ومرَّ بالغرفة دون أن يتوقَّف عندها، ثم سمعوا صوت الأقدام تنزل السلالم، ففتح «تختخ» الباب ونظر، ورأى الرجل يتَّجه إلى باب القصر، ثم يفتحه، ويقف لحظاتٍ وكأنه يُفكِّر في شيء، ثم يترك الباب مفتوحًا، ويُسرع إلى ناحية المطبخ.

قال «تختخ»: يبدو أنه وضع شيئًا على النار ونسيه، ثم تذكَّره فأسرع إليه ... هذه فرصتنا! هيَّا ولْننزل بهدوء.

وأسرعوا ينزلون إلى السلَّم بدون أن يُحدِثوا أيَّ صوت ... ولكنهم ما كادوا يقطعون البهو ويصلون إلى الباب، حتى سمعوا صوت أقدام رجلٍ قادمٍ إلى البهو ... وفي تلك اللحظة حدث شيء مُثير للإعجاب؛ فقد أسرع عم «مبروك» العجوز إلى المطبخ صائحًا: يا «صبحي»!

مرق الأصدقاء من الباب خارجين، وقال «تختخ» وهم ينزلون سلالم القصر مسرعين: لقد أنقذَنا عم «مبروك»؛ فسوف يتصوَّر «صبحي» أن المُنادي دخل من باب القصر المفتوح ... ولن يتصوَّر أبدًا أنه كان داخل القصر طول الوقت.

كان باب الحديقة مفتوحًا، فنفذوا منه، وانضمُّوا إلى «نوسة» و«لوزة»، وساروا جميعًا يتحدَّثون، وعندما وصلوا إلى حديقة منزل «عاطف» قال «تختخ»: إن عندنا أربعة موضوعاتٍ تستحقُّ البحث، ويجب أن نُتابعها جميعًا في وقتٍ واحد. الموضوع الأوَّل: عن أيِّ شيءٍ كان يبحث الثلاثة في غرفة الأستاذ «إلهامي»؟ وهو شيءٌ لا نستطيع أن نعرفه الآن ... الموضوع الثاني: هو دخول الغرفة السريَّة في القصر، حيث كان «إلهامي» يقضي معظم وقته، وهذه مسألةٌ سوف أبحثها مع «سحر»، وأجد وسيلةً لدخول الغرفة ... الموضوع الثالث: هو أين ذهب «إلهامي»؟ وأعتقد أننا سنجد في غرفته شيئًا يهدينا إلى طريقه ... أما الموضوع الرابع: فهو أين ذهب الثلاثة «لطيفة» و«الحكيم» و«شاكر» بما نهبوه من محتويات القصر الثمينة؟!

نوسة: إنني أعتقد أننا يجب أن نُبلغ الشرطة!

عاطف: عن أيِّ شيء؟

نوسة: عن اختفاء الأستاذ «إلهامي». إننا لا نستطيع أن نُبلغ الشرطة عن سرقة القصر ما دام الأستاذ «إلهامي» قد باعه لهم ... وإن كنا نشك في هذا البيع!

تختخ: إنها خطة معقولةٌ أن نُبلغ الشرطة عن اختفاء الأستاذ «إلهامي»؛ فقد يعثرون عليه.

نوسة: سأذهب أنا و«عاطف» لمقابلة الشاويش «علي» والتفاهم معه.

سحر: أعتقد أنني لا بد أن أذهب معكم لأنه جدِّي.

نوسة: طبعًا.

تختخ: هل تُعطينني أوَّلًا الورقة التي ترك لكِ رقم فتح قفل الباب فيها؟

أسرعت «سحر» مع «لوزة» إلى داخل المنزل، وعادت بعد قليلٍ ومعها ورقةٌ صغيرة … قدَّمتْها لـ «تختخ»، ففتحها، وأخذ ينظر إلى الأرقام مُتأمِّلًا، في حين تهيَّأت «سحر» لمغادرة الحديقة ومعها «عاطف» و«نوسة».

قال «تختخ» وهو ينظر إلى الورقة مُفكِّرًا: إن الرقم ٦ يتكرَّر هنا كثيرًا … وعدد الأرقام ستة أيضًا … ٦١٦٢٦٣ … ومجموع الأرقام الأخرى عدا الستة … ستة أيضًا!

قالت «سحر» فجأة: لقد نسيتُ أن أقول لكَ شيئًا هامًّا يا «تختخ» … لقد كان جدِّي دائمًا يقول لي: خُذي بالك من الساعة السادسة … إنها أهم ساعة!

تختخ: الساعة السادسة … ماذا كان يقصد؟

سحر: لا أعرف … عندما كنتُ أدخل معه الغرفة السِّرية كان يجلس ويُمارس هوايته في إصلاح الساعات … وكان يُكرِّر أمامي باستمرار: لا تنسَي الساعة السادسة. إنها الساعة التي تَحلُّ كلَّ المُشكلات!

عاطف: شيءٌ غريب!

قال «تختخ» وهو يقف: سأذهب إلى المنزل الآن، وسألتقي بكم لأعرف ماذا فعلتم.

وانصرف «تختخ» وخلفه «زنجر» وهو يُفكِّر في الرقم ٦، على حين ذهبت «سحر» مع «عاطف» و«محب» إلى قسم الشرطة، وبقيت «نوسة» و«لوزة» في الحديقة تتحدَّثان.

عندما دخل «تختخ» إلى منزله، وقف أمام ساعة الحائط يتأمَّلها: الساعة السادسة … ماذا يعني هذا؟ ماذا يعني رقم ستة عند هذا الرجل العجوز الطيِّب؟ هل يحل لغز اختفائه؟ هل يكشف حقيقة هؤلاء الزوَّار الثلاثة؟

وشاهدته والدته وهو يقف أمام الساعة مُتأمِّلًا فقالت: ماذا حدث يا «توفيق»؟ … ألم ترَ ساعةً من قبل؟

فردَّ عليها قائلًا: هل تعرفين معنى رقم ستة؟

وهزَّت والدته رأسها في دهشة، وكأنها تسمع عبيطًا يتحدَّث، ثم مضت في طريقها.

رأي الشاويش «علي»

عندما دخلت «سحر» و«محب» و«عاطف» قسم الشرطة لمقابلة الشاويش «علي»، وجدوه مُنهمكًا في التحقيق مع لصٍّ سرق بعض الملابس من على حبل غسيل.

كان الجو في الغرفة حارًّا، وقد وقفت السيدة التي سُرق منها الغسيل تصرخ … واللص يُحاول الإنكار … والشاويش «علي» حائرٌ بينهما، وقد أخرج منديله الكبير الأصفر يُجفِّف عرقه.

ولم يكد الشاويش يراهم حتى نسي كلَّ شيءٍ أمامه، والتفت إليهم وقد ازداد احمرارُ وجهه، وصاح: ماذا تريدون؟! … هل جئتم لإثارة المُشكلات كالمعتاد؟ وأين زعيمكم السمين؟ … هل يُحاول حلَّ لغزٍ لا أستطيع أنا حله؟ هيَّا فرقعوا من هنا!

ارتبكت «سحر» عندما وجدت هذا الاستقبال الجاف، ولكن «محب» و«عاطف» اللذان كانا يعرفان الشاويش جيدًا، وقفا ثابتَين بدون أن يهتزَّا، وقال «محب»: إننا سننتظر حتى تنتهي من هذه المشكلة؛ فعندنا موضوع مهم نُريد أن نتحدَّث معك عنه.

صاح الشاويش: وما دخلك أنت في مشكلاتي؟! لماذا تحشر نفسك فيما لا يعنيك؟ وما هو الموضوع المهم الذي تريدون أن تُحدِّثوني عنه؟ … هل وجدتم أعقاب سجائر تُريدون الوصول منها إلى حلِّ اللغز؟

محب: إننا لم نجِد أعقاب السجائر بعدُ يا شاويش «علي»، ولكن قد نجدها.

عاطف: يبدو أنك الذي ستُفرقع يا شاويش «علي»؛ فأنت منتفخٌ من الغضب بدون مناسبة.

وقف الشاويش كأنما مسَّته كهرباء، وصاح بأعلى صوته: هل تُريد حضرتك أن تستخفَّ دمك معي؟ … قلتُ لكم فرقعوا!

عاطف: آسفون جدًّا … فمن الصعب أن نُفرقع بدون سبب … نحن في الانتظار.

قالت السيِّدة التي سُرقت ملابسها: ليس عندي وقتٌ يا شاويش ... إن الأولاد وحدهم في البيت وزوجي مسافر.

ارتبك الشاويش أمام صوت السيِّدة المرتفع، وجلس وأخذ يستكمل تحقيقه، وخرج الأصدقاء ووقفوا أمام الباب حتى ينتهي الشاويش من عمله.

ومضى نصف ساعة، وشاهد الأصدقاء السيِّدة تنصرف، فعادوا يدخلون إلى الشاويش مرةً أخرى، وقال «محب» بسرعةٍ بدون أن يترك للشاويش فرصةً للكلام: جئنا لنُبلغ عن إنسانٍ خرج منذ فترةٍ من منزله ولم يعُد حتى الآن.

الشاويش: ولماذا تُبلغ أنت؟ هل هو قريبك؟!

محب: إنه جد صديقتنا «سحر»!

الشاويش: وما اسمه وشكله ... وملابسه وموعد خروجه؟ وهل له أعداء؟ ومن هم؟

عاطف: على مهلك يا شاويش؛ فنحن لسنا في سباق أسئلة!

أدرك الشاويش «علي» أنه لا يستطيع أن يتغلَّب على هؤلاء العفاريت الصغار، فتمالك أعصابه وقال: ما هي الحكاية بالضبط؟

قالت «سحر» بانفعال: إن جدِّي الأستاذ «أحمد إلهامي» ... قد خرج من قصره منذ نحو ثمانية أيَّام ولم يعُد ... وأنا أشكُّ أن وراء اختفائه ثلاثة؛ رجلان وامرأة!

الشاويش: الأستاذ «أحمد إلهامي»؟ إنني أعرفه، وأعرف أنه اعتاد أن يخرج من منزله ويتغيَّب عنه أيَّامًا ثم يعود؛ فلماذا أنتِ خائفةٌ عليه هذه المرَّة؟

سحر: لأنه تأخَّر كثيرًا!

الشاويش: وما هي حكاية هؤلاء الثلاثة؟

وروَت «سحر» للشاويش كلَّ ما مرَّ من أحداث بالقصر، منذ دخله هؤلاء الثلاثة حتى طردوها من القصر.

قال الشاويش: ولكن جدَّك كما تقولين باع القصر؛ فلم يعُد لكِ مكانٌ فيه، فماذا أفعل أنا؟

محب: لقد جئنا لإبلاغكَ عن غياب الأستاذ «إلهامي» فقط، ونرجو أن تُشاركنا في البحث عنه!

الشاويش: رأيي أنه سيعود إليكم بعد بضعة أيَّام؛ فلا داعي للقلق!

وانصرف الأصدقاء، ولكن الشاويش «علي» لعبت به الأوهام كالمُعتاد، وقال في نفسه: إن هؤلاء الأطفال سيعثرون على الرجل قبلي ... ويجب ألَّا أدعهم يفعلون ذلك كما حدث من قبل، ثم يُبلغون المُفتِّش «سامي»، وأبدو مُقصِّرًا أمامه. لا بد أن أُراقبهم لأرى ماذا يفعلون!

وفي تلك الليلة كان «تختخ» يستعدُّ لدخول القصر، وفتحِ الغرفة السريَّة، والبحثِ عن لغز الساعة السادسة. وعندما خرج من منزله قرب منتصَف الليل، كان الشاويش يرقب البيت، ولم يكد يرى «تختخ» يمشي حتى كان خلفه على مَبعَدة، وقد أحسَّ أنه أذكى رجلٍ في العالم؛ لأنه سيعرف كلَّ شيءٍ يفعله هؤلاء الأولاد.

سار «تختخ» مُتمهِّلًا بدون أن يدري أن الشاويش يتبعه ... ولم يكن مُتعجِّلًا؛ ليضمن أن الحارس الذي تركه الشركاء الثلاثة قد نام؛ حتى يتمكَّن من دخول القصر بالمفتاح الذي أخذه من «سحر». ظلَّ يسير والشاويش يتبعه حتى وصل إلى القصر، فوجده غارقًا في الظلام، فدار حوله يفحص نوافذه، ولم تكن هناك نافذةٌ واحدةٌ مُضاءة.

تلفَّت «تختخ» حوله، فلم يجد أحدًا يسير في هذه الساعة المُتأخِّرة من الليل، فقفز وتعلَّق بالسور، ثم تسلقه، ونزل من الناحية الأخرى بهدوء، وربض في الظلام بين الأشجار الكثيفة مُتسارعَ الأنفاس، وقد أنصت بكلِّ جوارحه مستمعًا إلى أيِّ صوتٍ قد يصدر من القصر ...

ولكن حدث شيءٌ آخر كان يتوقَّعه ... فقد سمع صوت أقدامٍ ثقيلةٍ تقترب من خارج السور، ثم شاهد شبحًا في الظلام يُحاول تسلُّق السور ... وكان واضحًا أنه يجد تعبًا شديدًا في المحاولة ... ولكن الشبح استطاع في النهاية أن يصل إلى قمَّة السور، ولكنه فقد توازنه في هذه اللحظة، وسقط على الأرض في دَوِيٍّ شديد!

كان الظلام حالكًا؛ فلم يستطع «تختخ» أن يتبيَّن شخصية هذا الشبح الذي لم يكن إلا الشاويش «علي»، وأخذ الشاويش يتأوَّه ويسب ويلعن، وعرفه «تختخ» من صوته وابتسم، ولكن ابتسامته لم تطُل؛ ففي تلك اللحظة سمع صوت أقدام تقبل مُسرعةً من ناحية القصر، ثم شاهد بطاريةً تُضاء في الظلام، وسقط ضوءُها على الأعشاب النامية، وسرعان ما انطفأ النور مرةً أخرى، ثم قفز شبحٌ آخر في الظلام، وسقط فوق الشاويش، ودار بين الرجلَين صراعٌ رهيب ... وأدرك «تختخ» أن حارس القصر لم يكن نائمًا ... وأن صوت سقوط الشاويش على الأرض وصل إلى مسامع الحارس؛ فأقبل مُسرعًا، وألقى بنفسه فوق الشاويش.

ظلَّ «تختخ» قابعًا في الظلام، مستمعًا إلى الأصوات التي كانت تصدر من الرجلَين وهما يتعاركان ... وأخذ يُفكِّر فيما يجب أن يفعله ... هل يتدخَّل في الصراع؟ لقد كان الحارس ضخمًا قويًّا، وخشي أن يقضي على الشاويش ... ومهما كان الشاويش لا يُعاملهم كمغامرين باحترام؛ فإنه على كلِّ حالٍ ممثِّل القانون ... وهو أيضًا برغم كلِّ شيءٍ صديقهم

... ولكن خطر ببال «تختخ» أن ما يُهمُّه أوَّلًا هو أن يحلَّ اللغز ... أمَّا الشاويش فسوف يجد وسيلةً للخلاص.

وهكذا تسلَّل بهدوءٍ وبسرعةٍ تحت الأشجار، حتى وصل إلى باب القصر ... وكان صوت الصراع يصل إليه ... قفز إلى الباب وأخرج المفتاح وأولجه في القفل ... ولم تمضِ لحظاتٌ حتى فتح الباب ودخل، ثم أغلقه خلفه في هدوء.

كان القصر مظلمًا ... ولكن «تختخ» كان مستعدًّا، أحضر بطاريته معه، فأخرجها، وأرسل منها خيطًا رفيعًا من الضوء، واستطاع بسرعةٍ أن يصل إلى باب المطبخ، ففتحه ودخل، ثم فتح الدولاب الذي كان يعرف أن باب الغرفة السريَّة بداخله ودخل، ثم أغلق باب الدولاب خلفه، وسلَّط شعاع الضوء على باب الغرفة السريَّة ... وكان القفل الذي يُفتح بالأرقام أمامه، فهل الرقم الذي معه هو الرقم الصحيح؟!

وأخرج الورقة من جيبه، وفتحها، وسلَّط الضوء عليها ... إنه يحفظ الرقم، ولكنه يُريد أن يتأكَّد. ٦١٦٢٦٣، الرقم العجيب ... ومدَّ أصابعه، وبدأ يُدير قرص الأرقام ... أدار الرقم ستة ... ثم الرقم ١، ثم الرقم ٦ مرةً أخرى، ثمَّ الرقم ٦ مرةً ثالثةً، وبقي رقمٌ واحدٌ هو الرقم ٣ وتتَّضح الحقيقة ... ولكن في تلك اللحظة سمع صوت أقدامٍ تقترب من المطبخ، واستطاع برغم باب الدولاب المغلق أن يسمع حديث رجلَين يتحدَّثان؛ كان أحدهما بلا شكٍّ هو الشاويش «علي»، ورجلٌ آخر هو بلا شكٍّ الحارس «صبحي». وكان الرجل يقول: سنجد هنا بعض القطن والشاش، وسأربط لك الجرح.

ردَّ الشاويش وهو يتأوَّه: لقد كدتَ تقتلني!

الرجل: لم أكن أعرف أنك الشاويش ... لقد ظننتُ أنك لِص!

الشاويش: لقد جئتُ خلف هذا الولد المغرور الذي يُدعَى «تختخ» ... لقد روى لي اليوم أصدقاؤه قصةً عجيبةً عن هذا القصر ... فهم يقولون إن صاحبه خرج ولم يعد منذ فترةٍ طويلة ... ويُريدونني أن أبحثَ عنه.

ومرَّت لحظة صمتٍ، ثم دقَّ قلب «تختخ» سريعًا وهو يسمع الرجل يقول: شيءٌ غريب! ... لقد تذكَّرت الآن أنني تركت باب هذا المطبخ مغلقًا ... ولكنه مفتوح الآن ... فمن الذي فتحه؟!

الساعة السادسة

كان إهمالًا فظيعًا من «تختخ» أن ينسى إغلاق باب المطبخ بعد أن دخل ... كان يجب عليه كمغامرٍ قديمٍ ألَّا يقع في مثل هذا الخط ... ولكن هذا ما حدث، وأصبح مصيره مُعلَّقًا بما يفعله حارس القصر «صبحي».

قال الحارس: لقد قلتَ لي إنكَ كنتَ تتبع هذا الولد المغرور ... فهل شاهدته وهو يقفز من فوق سور القصر؟

الشاويش: طبعًا ... لقد شاهدتُه، وحاولتُ أن أقبض عليه؛ فقفزتُ من فوق السور أنا أيضًا، ولكنك هاجمتني!

الحارس: وهل استطاع دخول القصر؟ هذا مستحيل؛ فقد أغلقته بالمفتاح ... ومع ذلك فلْنبحث عن هذا الولد!

وسمع «تختخ» أصوات أقدامهما وهما يتجوَّلان ... وأخذ يدعو الله ألَّا يقتربا من الدولاب. وعندما سمع أقدامهما تبتعد، أضاء مصباحه الصغير، وسلَّطه على القفل، ثم أعاد تجربة فتحه على حسب الأرقام التي معه ... رقم ستة أوَّلًا، ثم واحد، ثم ستة، ثم اثنَين، ثم ستة، ثم ثلاثة، وسمع تكَّةً خفيفة، ودفع الباب الصغير فانفتح، وتسلَّل داخلًا، ولم ينسَ أن يُغلق الباب خلفه.

أدار مصباحه الصغير حوله حتى عثر على مفتاح النور، فأضاء الغرفة، ونظر حوله. كانت غرفةً صغيرةً مُبطَّنةً بالخشب كلها ... فيها مكتبٌ صغيرٌ صُفَّ عليه كثيرٌ من الأدوات الدقيقة ... وكانت الجدران مُقسَّمةً إلى أرفف، وقد رُصَّت عليها عشرات من التُّحف والساعات القديمة الضخمة.

جلس «تختخ» إلى المكتب، وأخذ يفحص الأدوات: مفكات ... شواكيش ... مفاتيح ... مسامير ... وعددٌ من الساعات الصغيرة الدقيقة، بعضها مفتوح. وأخذ «تختخ» يُفكِّر

في الساعة السادسة، ماذا تعني؟ إن أمامه عشرات الساعات … كلٌّ منها تقف عقاربها على ساعةٍ مختلفة، وكلٌّ منها نوع مختلف، فماذا كان يقصد الأستاذ «إلهامي» عندما قال لـ «سحر» عن أهمية الساعة السادسة؟ وحاول «تختخ» النظر حوله لعله يعثر على شيءٍ يدله على معنى الساعة السادسة، ولكن لم يكن بالغرفة عدا الساعات والأدوات سوى بعض اللوحات الزيتية، وبعض الصور العائلية للأستاذ «إلهامي» وابنته وحفيدته «سحر». ووضع «تختخ» رأسه بين كفَّيه، وأخذ يُفكِّر تفكيرًا عميقًا … ويرفع رأسه بين لحظةٍ وأخرى، يُعاود النظر إلى الساعات التي أمامه، محاولًا أن يكتشف ماذا يعني سرُّ الساعة السادسة … وفجأةً خطر له خاطر … أن يضبط كلَّ الساعات على الساعة السادسة، ثم يرى ماذا يحدث عندما تدور … وهكذا قام إلى الساعة الأولى على الرف، وضبطها على السادسة، ثم أدار مفتاح ملء الساعة حتى امتلأت وتركها تدور، ولكن شيئًا غير عادي لم يحدث … فقد مضت الساعة تدور وعقربها الكبير يقفز من دقيقة إلى أخرى … ومدَّ يده إلى الساعة الثانية، وفعل ما فعل بالأولى، ولكن ما حدث أوَّلًا حدث ثانيًا … ثم جرَّب الساعة الثالثة … والرابعة والخامسة … والسادسة … وعند الساعة السادسة خفق قلب «تختخ»؛ فقد كانت ساعةً كبيرةً ترتكز على قاعدةٍ ضخمةٍ أشبه بالصندوق المتوسِّط الحجم … ولم يكد «تختخ» يضبطها على الساعة السادسة ثم يُديرها، حتى انطلق منها جرسٌ خفيفٌ ظلَّ يدقُّ لمدة دقيقةٍ تقريبًا، وفي هذه الدقيقة لاحظ «تختخ» أن الساعة تدور ببطء على محورها، وظلَّت تدور حتى أتمَّت دورةً كاملة، ثم صدرت منها تكة خفيفة، ثم برز من القاعدة دُرجٌ إلى الخارج! عندما نظر إليه «تختخ» أصابته دهشةٌ لم يسبق لها مثيل! … كانت في الدرج أكبر مجموعةٍ من الجواهر رآها في حياته … أخذت تبرق تحت الضوء وكأنها أشعَّة الشمس في ماءٍ يتموَّج، ولفت نظر «تختخ» بجوار الجواهر مجموعةٌ من الأوراق، حُزمت بعناية، ورُبطت بشريطٍ رقيقٍ من المطَّاط.

مدَّ «تختخ» يده بقلبٍ خائف، وأمسك بالأوراق … هل فيها شيءٌ يحل لغز الرجل المختفي؟ وأزال «تختخ» الشريط، ثم وضع الأوراق أمامه، وفتح الورقة الأولى … وطالعه خطٌّ دقيقٌ جميل، وكان على رأس الصفحة كلمة «مذكِّرات» … ثم تاريخ الكتابة … كان تاريخًا يعود إلى عشرة أيَّام … أي إن هذه الورقة كُتبت قبل اختفاء «إلهامي» بيومٍ واحد. وأخذ «تختخ» يقرأ ما كتبه «إلهامي» بخطِّه الدقيق الأنيق.

هذه ربما تكون آخر صفحةٍ في مذكِّراتي التي أتركها لحفيدتي «سحر» عندما تكبر وتفهم كلَّ شيء … لقد كبرتُ في السن، وأصبحت عبئًا عليها؛ فكثيرًا ما أفقد

ذاكرتي وأختفي، وأُسبِّب لها الشقاء والخوف، وأنا أتمنَّى لها السعادة والهناءة. وإذا كان كِبَرُ سني من أسباب فقداني الذاكرة؛ فإن السبب الأوَّل في الحقيقة يعود إلى يوم فقدت ابنتي الوحيدة التي لم أجد أحدًا مثلها. فقدتُها في لحظات فأصبحت حياتي جحيمًا. ولعلني أفقد الذاكرة لأنني لا أُريد أن أتذكَّر أنني فقدتُها …

وقد كتبتُ مذكِّراتي حتى لا تُفاجأ «سحر» بحقيقة أن جدَّها الذي تُحبُّه وتحترمه كان في يومٍ نزيلًا من نزلاء السجون! وقد أخفيتُ عنها هذه الحقيقة حتى لا أفقد حُبَّها كما فقدتُ أمَّها، وقد دفعتُ كثيرًا من المال لتظلَّ هذه الحقيقة مختفيةً إلى الأبد؛ فهناك رجلٌ كان معي في السجن يعرف كلَّ شيء … وعندما خرج من السجن أخذ يُهدِّدني بإفشاء سري الخطير … وكنتُ أدفع له ما يطلب حتى لا يُفشي سري، ولكنه حضر إلى القصر ليُقيم معي ومعه زوجته وشخصٌ آخر. إنهم ضيوفٌ ثقلاء، ولكنِّي لا أستطيع أن أطردهم … وقد وعدوني أن يتركوني نهائيًّا إذا تنازلتُ لهم عن بعض ما أملك، وقد قبلت ذلك، ولكني رفضتُ أن أتنازل لهم عن القصر؛ فإنني أحبُّه.

إنني أكتب هذه السطور بسرعةٍ قبل أن أفقد ذاكرتي مرةً أخرى، وقد أفقدها تمامًا. ولقد دخلتُ السجن لخطأٍ ارتكبته وأنا شاب، وعندما خرجتُ من السجن عشتُ حياةً جادَّةً ومستقيمة، حتى كوَّنت ثروتي بشرفٍ واستقامة. وقد أحبَّني الناس جميعًا، وأخشى إن هم عرفوا الحقيقة أن يفقدوا حبهم لي، وبخاصةٍ «سحر».

إنني أترك كل ما أملك لها … وأعتقد أنها ستكون من الذكاء بحيث تعرف كيف تصل إلى مكان المذكِّرات، ما دامت تعرف كيف تدخل الغرفة …

إنني أتركها في قاع هذه الساعة الأثرية التي كانت أوَّل ساعةٍ اشتريتُها في حياتي، التي بدأتها تاجر ساعات … وقد أحببتُ هذه الآلات الدقيقة، وأصبحت متخصِّصًا فيها … تمامًا كما أحببت رقم ستة؛ لأنه الرقم السعيد في حياتي. ولعل ذلك مجرَّد وهم … ولكنني تعلَّقت به؛ فاسمي مكوَّن من ستة أحرف … وقد وُلدت في الساعة السادسة، في اليوم السادس، من الشهر السادس في عام ١٨٩٦م.

وكنتُ الولد السادس بين إخوتي، وكنَّا نسكن في منزل رقم ٦، وفي الدور السادس. وهكذا وجدت رقم ٦ يُحيط بي في كلِّ مكان، وأحببته، وتفاءلت به ... ومن يقرأ مذكِّراتي فسيجد في كلِّ صفحةٍ صفقةً رابحةً أو رحلةً سعيدة ... وحتى حياتي العملية بدأتها قرب باب ستة في الإسكندرية.

وعن طريق رقم ستة ستجد «سحر» هذه المذكِّرات، بل قد تجدني أنا أيضًا إذا قرأت هذه المذكرات في الوقت المناسب ... ولها كلُّ حبِّي.

«إلهامي»

استُغرق «تختخ» في قراءة أوَّل المذكِّرات، ونسي أين هو ... وكيف يخرج من هذا المكان. وعندما طوى الصفحة ومدَّ يده ليقرأ بقية المذكِّرات، تذكَّر أين هو، وهبَّ واقفًا، ونظر في ساعته، كانت قد تجاوزت الثالثة صباحًا، فأعاد المجوهرات إلى قاعدة الساعة كما كانت، ثم طوى حزمة المذكِّرات ووضعها في صدره؛ فلم يكن جيبه يتَّسع لها ... ثم اتجه إلى الباب، وأخذ يُنصت ... كان كلُّ شيءٍ هادئًا، ولا بد أن الشاويش «علي» قد انصرف، وأن الحارس قد غلبه النوم.

أدار «تختخ» قرص الأرقام مرةً أخرى ليفتح الباب، وسمع في نهاية الرقم تكَّةً خفيفة، وأدرك أن الباب قد فُتح، فأطفأ النور، ثم تسلَّل من الباب في هدوء، وأعاد إغلاقه، ثم أضاء بطاريته، ووجد نفسه في دولاب المطبخ مرةً أخرى، فتحرَّك ببطءٍ حتى لا يُحدثَ صوتًا، ثم خطا أوَّل خُطوةٍ خارج الدولاب، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ... لقد التوَت ساقه وفقد توازنه، ومدَّ ذراعه ليجد شيئًا يستند عليه، فوقعت على مجموعةٍ من الأطباق وانهارت الأطباق في صوتٍ مرتفعٍ بدا كطلقات المدافع في الليل الساكن!

وجد «تختخ» نفسه واقفًا بين حطام الأطباق وبقية الأواني التي سقطت من الدولاب، وتلا صوت الأطباق المُكسَّرة صمتٌ شامل ... ثم سمع «تختخ» صوت أقدامٍ تأتي بسرعةٍ في اتِّجاه المطبخ، وأدرك أنه وقع في فخٍّ لا فِكاكَ منه، وكان تصرُّفه في الدقائق التالية يتوقَّف عليه؛ أن يهرب أو يُمسكه الحارس وتصبح كارثة ... ففي إمكانه أن يتَّهمه بالسرقة، وأهمُّ من هذا أن يجد المذكِّرات معه.

وأفاق «تختخ» من لحظات الدهشة، فقفز واقفًا، وفي خطوتَين كان يقف خلف باب المطبخ الذي فُتح في اللحظة نفسها، وشاهد شبحًا يندفع داخلًا، وكانت فرصته الوحيدة

في تلك اللحظة، فمدَّ ساقه إلى آخرها أمام الشبح الداخل ... وتعثَّر الشَّبح في الساق، وسقط على الأرض مُتأوِّهًا.

لم يُضيِّع «تختخ» لحظةً واحدة، وقفز فوق الجسم المُمدَّد على الأرض، ثم انطلق خارجًا إلى باب القصر، فأخذ يُحاول فتح الباب ... ومرةً أخرى سمع صوت أقدامٍ قادمةً بسرعةٍ من ناحية المطبخ، فجذب باب القصر بشدَّة، فانفتح الباب، وأطلق ساقَيه للريح ... وأخذ يقفز سلالم القصر بسرعة، ووجد نفسه في الحديقة ... وفي هذه اللحظات كان الحارس قد وصل إلى الباب أيضًا، وشاهد «تختخ»، فصاح في صوتٍ كالرَّعد: قف مكانك وإلا أطلقتُ النار!

ولكن «تختخ» كان يدرك أن وقوعه في يد الحارس معناه نهاية المغامرة ... فانطلق يجري دون أن يلتفت خلفه ... وسمع صوتًا حادًّا لشيءٍ يمرُقُ بجوار أذنه ... وأدرك أن الحارس يُطلق عليه الرصاص من مسدَّس كاتمٍ للصوت، فألقى بنفسه على العشب، وأخذ يتدحرج ... واستطاع في النهاية أن يصل إلى صفِّ الأشجار الكثيفة قرب السور، فقفز كالقرد إلى إحدى الأشجار، وتسلَّقها مسرعًا، وهو يسمع وقع خطوات الحارس يجري نحوه، ولكنه استطاع في النهاية أن يصل إلى السور، ورمى جسمه إلى الخارج، ثم ترك نفسه يسقط في الشارع ... ووقف مرةً أخرى يلهث، ولكنه لم يُضيِّع دقيقةً واحدة؛ فجمع كلَّ ما بقي من قوته، وأخذ يجري في شوارع المعادي الخالية في هذه الساعة المتأخِّرة ... متَّجهًا إلى منزله.

النافذة المفتوحة

برغم أن «تختخ» كان مُتعبًا بعد مغامرته الليلة؛ فإنه لم يستسلم للنوم؛ فبعد أن خلع ملابسه واغتسل، فتح النافذة ليسمح لنسيم الليل البارد بدخول غرفته، ثم استلقى على فراشه، وفتح لفَّة المذكِّرات …

كانت مكتوبةً على أوراقٍ مختلفة … وكلُّ جزءٍ منها مربوطٌ بشريطٍ من المطَّاط، ففتح الجزء الأول … ولكن قبل أن يقرأها سأل نفسه: هل يحقُّ له أن يقرأ هذه المذكِّرات؟! إن صاحبها طلب من «سحر» فقط أن تقرأها … أفينتظر حتى يُسلِّمها لها، أم يبدأ في قراءتها؟

وأخيرًا استقرَّ رأيه على أن يقرأها … فهو يُحاول الوصول إلى صاحب المذكِّرات قبل أن يختفيَ إلى الأبد، أو يقع له مكروه … أو تختطفه العصابةُ إذا عرفَت مكانه وتقضي عليه! … إنه في سباقٍ مع الزمن، ويجب أن يصل إلى «إلهامي» قبل أن يحدث أيُّ شيء.

أمسك «تختخ» بالورقة الأولى يقرأ … كانت المذكِّرات تبدأ منذ مولد «إلهامي»، ونسي «تختخ» نفسه ومضى يقرأ … وكلَّما استمرَّ أصبح أكثر تشوُّقًا لما في المذكِّرات من قَصَصٍ طريفة، ومعلوماتٍ غريبةٍ عن نجاح هذا الرجل، الذي استطاع أن يُصبح ثريًّا من تجارة الساعات …

ومضى الوقت، وتثاقلت أجفان «تختخ» بعد أن أوشك الفجر أن يبتسم … وساعد هواء الليل البارد على أن يستسلم للنوم … وقد نسي النافذة مفتوحة … ومن خلال هذه النافذة تسلَّل رجل … لم يكن إلا «صبحي» الذي تبع «تختخ» في شوارع المعادي بدون أن يُحِسَّ به، وتسلَّق الشجرة المجاورة للنافذة، وشاهد «تختخ» وهو يقرأ المذكِّرات، وأدرك أنها مُهمَّة … وهكذا انتهز فرصة استسلام «تختخ» للنوم، ثم تسلَّل إلى الغرفة، وأخذ المذكِّرات، ثم انصرف في هدوء!

لم يكن المُتسلِّل يعرف أن هناك حارسًا مُهمًّا جدًّا كان يتربَّص به في الحديقة ... حارسًا لا ينام ... إنه «زنجر» سادس المغامرين وصديقهم، وهكذا لم يكَد المُتسلِّل ينزل من النافذة إلى الشجرة، ومن الشجرة إلى الأرض، وقد ظنَّ أنه استولى على المذكِّرات، حتى وجد «زنجر» في انتظاره.

قفز «زنجر» وهو يُزمجِر ... وانقضَّ على الرجل كالبرق، وسقط الرجل على الأرض، وارتفع صياح الكلب، وسمع «تختخ» فيما يُشبه الحلم صوتَ الصراع الدائر تحت نافذته، فاستيقظ يفرك عينَيه، ويُحاول فهم ما حدث ... وسمع صوت زمجرة الكلب وتأوُّهات الرجل، فأدرك أن «زنجر» قد وقع على فريسة، ونظر بجوار الفراش فوجد المذكِّرات قد اختفت، وأدرك كلَّ شيء ... فقفز من فراشه كالصاروخ، ونظر من النافذة، وعلى أضواء مصابيح الشارع شاهد الصراع الدائر بين الكلب والرجل ... وكان الرجل يُحاول أن يضع يده في جيبه ويُخرج مسدسه ... وأدرك «تختخ» أن كلبه الشجاع الذكي مُعرَّض لخطرٍ جسيم ... فصعد إلى النافذة، ومنها نزل على الشجرة، ولم يكن هناك وقت للنزول مُتسلِّقًا إلى الأرض؛ فقد كاد الرجل ينجح في إخراج مسدَّسه ... وهكذا قدَّر «تختخ» المسافة بينه وبين الرجل وقفز في الظلام وسقط عليه ... ووقع الاثنان يتدحرجان على الأرض ... كان وزن «تختخ» الثقيل كأنه شجرةٌ قد سقطت على الحارس، فوقع مكانه لا يتحرَّك، في حين أخذ «زنجر» يدور حوله مُهمهمًا في الظلام ... مستعدًّا للانقضاض عليه في أية لحظة ... وقام «تختخ» واقفًا ... وكانت عظامه تُؤلِمه، ولكنه كان يستطيع أن يتحرَّك ... ونظر حوله، وحَمِدَ الله أن المعركة لم تلفت انتباه أحد، فلم يرَ أحدًا يقف هنا أو هناك، ولكن كانت أوراق المذكِّرات متناثرةً في كلِّ مكانٍ على أعشاب الحديقة ... فكانت مُهمَّة «تختخ» الأولى أن يجمع هذه الأوراق ... وهكذا انحنى يجمعها ومعه «زنجر» يدور ويلفُّ حوله ... وكانت ريح الفجر السريعة قد حملت بعض الأوراق بعيدًا، فمضى «تختخ» خلفها ومعه «زنجر»، وقد أسعده أن يشترك في مغامرة بعد أن ظلَّ فترةً طويلةً لا يفعل شيئًا.

في هذه الأثناء كان «صبحي» قد أفاق من إغمائه، ونظر حوله في هدوء ... وسمع صوت أقدام «تختخ» بعيدًا، فجلس في مكانه بدون أن يصدر أيَّ صوت ... ثم تسلَّل في هدوء وتسلَّق السور ... وفي هذه اللحظة أحسَّ «زنجر» بما يحدث، فأسرع إليه، ولكن «صبحي» كان قد استطاع القفز إلى الطريق، وأطلق ساقيه للريح.

أخذ «زنجر» ينبح ويُحاول القفز من السور ... ولكن «تختخ» حضر مسرعًا ووضع يده على رأسه يُهدِّئه. لم يكن يُريد القبض على الحارس الآن؛ فإن ما يُهمُّه أوَّلًا هو العثور

على «إلهامي»؛ حتى يستطيع الشهادة ضدَّ الأشرار الثلاثة، ويكون هناك سببٌ قانونيٌّ للقبض عليهم، هذا بالإضافة إلى أن مع الحارس مسدَّسًا قد يستخدمه ضده أو ضد «زنجر» ... وهكذا أخذ «تختخ» «زنجر» معه إلى داخل المنزل. كان يُحسُّ بالسعادة لأن كلبه الذكي أنقذ المذكِّرات التي كاد يُضيِّعها بإهماله. وجلسا معًا في المطبخ، ونور الصباح يتسلَّل من النوافذ، وأعد «تختخ» لنفسه إفطارًا شهيًّا، وأعدَّ لـ «زنجر» إفطارًا آخر، وجلسا يأكلان.

انتهى «تختخ» من إفطاره، ومع كوب الشاي مضى يقرأ المذكِّرات حتى إذا ارتفعت الشمس كان قد انتهى منها، واستُغرق في تفكيرٍ عميق، فلم يُحسَّ بمرور الوقت إلا عندما دخلَت والدته المطبخ، ووجدته جالسًا يُفكِّر، وبجواره «زنجر» يهزُّ ذيلَه في سكون.

حمل «تختخ» المذكِّرات معه في مظروفٍ كبير، ثم انطلق وخلفه «زنجر» إلى منزل «عاطف» حيث اعتاد المغامرون الخمسة الاجتماع، فوجد الأصدقاء جميعًا في انتظاره ومعهم «سحر»، فجلس يروي لهم ما حدث في الليل، والمذكِّرات التي قرأها ... وفجأة بدا من طرف الحديقة شخصٌ يقترب، وعرفه الأصدقاء جميعًا على الفور؛ فلم يكن سوى الشاويش «علي».

كان الشاويش يربط يده وعلى وجهه آثار «الميكروكروم» بعد الإصابة التي وقعت له ليلة أمس في حديقة القصر، وكان وجهه غاضبًا يكشف عمَّا يدور في رأسه من أفكار، وتقدَّم الشاويش من الأصدقاء وقال لـ «تختخ» في صوتٍ عاصف: تعالَ معي!

نظر «تختخ» إلى الشاويش في هدوء، وقال: أنا؟

الشاويش: نعم أنت!

تختخ: لماذا؟!

الشاويش: لأنك دخلت أمس قصر «إلهامي» ليلًا بدون إذنٍ من أصحابه!

تختخ: وأين هم أصحابه؟

الشاويش: لا أعرف ... ولكني قابلتُ حارسَ القصر، وقال لي إنك دخلتَ القصر!

تختخ: وهل ضاع شيءٌ من هناك؟

الشاويش: لا أدري، ولكن تعالَ معي!

عاطف: إنك لا تدري يا شاويش «علي»؛ فلماذا تقبض على «تختخ» بدون تهمةٍ مُحدَّدة!

الشاويش: لا تتدخَّل أنت فيما لا يعنيك. إني أُريد اصطحاب «توفيق».

تختخ: وإلى أين ستذهب بي يا شاويش؟

الشاويش: إلى القصر!

كان «زنجر» يجلس مُتحفِّزًا يُريد القفزَ على الشاويش، وكان الشاويش يعرف هوايةَ الكلب الأسود في مُداعبته وعضه في قدمَيه، فكان يقفُ بعيدًا عنه وعينه عليه ... وانتهز «تختخ» فرصة انشغال الشاويش بالكلب، فمدَّ يده بمظروف المُذكِّرات إلى «سحر» التي سارعَت إلى وضعها فوق الكرسي والجلوس عليها حتى لا يراها أحد ... عندما اطمأنَّ «تختخ» إلى أن المُذكِّرات قد أصبحت في أمان وقف قائلًا: سأذهب معك يا شاويش «علي»؛ ففي القصر أشياء كثيرة أُحبُّ أن أراها معك!

الشاويش: إنك لن تذهب إلى القصر للفرجة، ولكن لمقابلة الحارس؛ حتى يتعرَّف عليك!

تختخ: وأنا أيضًا أُريد التعرُّف عليه ... هيَّا بنا!

صاح الأصدقاء في نفَسٍ واحد: سنأتي معكما! وزمجر «زنجر» مُعلنًا أنه على استعدادٍ للذهاب هو الآخر!

ولكن «تختخ» قال: لا داعي لأن نسير كأننا في زفَّة ... سيأتي «محب» وحده معي، و«زنجر» أيضًا؛ فقد نحتاج إليه هناك!

وسار الشاويش ومعه «تختخ» و«محب» و«زنجر»، والتفت «تختخ» إلى بقيَّة الأصدقاء وغمز لهم بعينه يُطمئنهم. كان الشاويش يسير مُرتبكًا، وينظر خلفه بين لحظةٍ وأخرى خوفًا من الكلب الأسود ... وسار «تختخ» و«محب» معًا يتحدَّثان ويضحكان، ولكن ضحكهما كان يُخفي خطَّةً رسماها للتصرُّف إذا حدث شيءٌ غير مُتوقَّع.

اقترب الأربعة من القصر الكبير ... وكان الباب مُغلقًا، فبدا من بعيدٍ وكأنه قلعةٌ حصينة، وتذكَّر «تختخ» مغامرة الليلة الماضية، وارتعش وهو يتصوَّر لو كان قد وقع بين يدَي الحارس العملاق، أو الشاويش الذي يعيش على أمل أن يوقع به!

وصلوا إلى القصر ... واقترب الشاويش من الباب وأخذ يدق الجرس ... كانت الحديقة واسعة، ولم يكن في إمكانهم معرفة أيرنُّ الجرس أم لا؟ وظلَّ الشاويش يضع يده على زرِّ الجرس بدون أن يردَّ أحد.

وتقدَّم «تختخ» من الشاويش قائلًا: ما رأيك يا شاويش أن تقفز السور؟

ولم يتحمَّل الشاويش سخرية «تختخ» وإشارته إلى ما حدث أمس، وصاح في ضيق: هل تقصد أنني لم ألحق بك أمس؟! هل تقصد أنني وقعت؟! إنني لا أتحمَّل سخريتك، ولا أُحبُّ خفَّة دمك!

وابتسم «تختخ» قائلًا في هدوء: وماذا تُريد مني الآن يا شاويش؟ من الواضح أن القصر ليس به أحد، وأُحبُّ أن أوضِّح لكَ أن الحارس الذي تتحدَّث عنه لصٌّ عريقٌ ضحك عليك وتظاهر أنه من الشرفاء!

كاد الشاويش ينفجر وهو يقول: لص؟ ... لص؟ ... هل تتَّهم الناس على كيفك؟

تختخ: سوف أُثبت لك أنه لص، ولكن ليس الآن ... المهم ماذا تُريد مني بعد ذلك؟

ونطق الشاويش جملته الخالدة في صَخَبٍ شديد: أُريدُ أن تُفرقع من أمامي فورًا. فرقعوا جميعًا ... فرقعوا!

وانصرف الشاويش غاضبًا ... ولكنه لم ينسَ أن ينظر خلفه خوفًا من «زنجر».

رحلة الليل

عاد «تختخ» إلى الأصدقاء وشرح لهم ما حدث، ثم قال: من المؤكَّد أن عصابة الثلاثة الآن تعرف أن هناك من يبحث عنها، ولا بد أنهم سيتصرَّفون سريعًا!

نوسة: وما هو التصرُّف الذي تتوقَّعه؟

تختخ: لا أدري بالضبط ... إما أنهم سيُحاولون الحصول على المذكِّرات مرَّةً أخرى، وسنتعرَّض في هذه الحالة لخطر الهجوم علينا، وإمَّا أنهم سيكتفون بما أخذوا ويختفون! ... إن غياب الحارس اليوم معناه أنهم يجتمعون لتدبير خطَّة!

نوسة: وماذا نفعل؟

تختخ: ليس في رأسي شيءٌ مُعيَّن ... فماذا تقترحون؟

محب: إنني أقترح أن نُراقب القصر ... فلا بد أنهم سيعودون إليه لأخذ ما تبقَّى به من أثاثٍ ثمينٍ وتُحَف!

عاطف: وأقترح أن أقوم أنا بالمراقبة؛ فهذا الحارس وبقيَّة العصابة لم يروني من قبل، وفي استطاعتي المراقبة بدون أن ألفت أنظارهم.

لوزة: ونحن ... أليس لنا دور في هذه المغامرة؟!

تختخ: لِتُراقبوا القصر بالدور ... «نوسة» و«لوزة» نهارًا، و«محب» و«عاطف» ليلًا.

سحر: وأنا ماذا أفعل؟

تختخ: ستبقَين معي هنا ... إن العصابة تعرفكِ جيِّدًا، ولعلهم يُحاولون خطفك أيضًا ... ومن المُهمِّ أن تبقَي مختفيةً عن عيونهم تمامًا!

سحر: ولكن جدِّي «إلهامى» متى نعثر عليه؟ ومتى أراه؟

وانحدرَت من عينَي «سحر» دمعةٌ على خدِّها، وتأثَّر الأصدقاء جميعًا لرؤيتها تبكي، وقالت «نوسة» وهي تربت على كتفها: لا تبكي يا «سحر» ... سوف نعثر على الأستاذ «إلهامي» ... إن قلبى يُحدِّثني أنكِ سترينه قريبًا.

ثم التفتتْ إلى «لوزة» قائلة: هيَّا يا «لوزة»، لنقوم بالمُراقبة. وتحرَّكت البنتان، ثم انصرف «محب» و«عاطف» للاستعداد للمراقبة ليلًا، وبقيت «سحر» مع «تختخ» الذي تحدَّث إليها قائلًا: إنني لم أقُل لكِ جزءًا هامًّا من المذكِّرات يجب أن تعرفيه؛ إن جدَّكِ «إلهامي» يُحبُّكِ جدًّا، ومن أجلك ضحَّى بالكثير.

سحر: وأنا أُحبُّه أكثر من أيِّ شخصٍ آخر في العالم ... فليس لي سواه!

تختخ: هناك سِرٌّ في حياة جدِّكِ أراه أنا شيئًا لا أهمية له ... ولكن جدَّكِ لخوفه أن يفقد حبكِ له ... خضع لهؤلاء الأشرار الثلاثة الذين يعرفون هذا السر!

شحب وجه «سحر» وهي تسمع هذا الحديث من «تختخ»، وقالت: سِرٌّ في حياة جدِّي «إلهامي»؟! شيءٌ غريبٌ جدًّا!

تختخ: إنه في رأيي شيءٌ بسيطٌ للغاية ... وحتى لا تُفاجَئي به ... قرَّرتُ أن أقوله لكِ قبل أن تقرئي المذكِّرات ... فقد كتبَها لك!

وأخذ «تختخ» يُفكِّر في صيغةٍ مُناسبة، ثم قال: في شباب جدِّك ... أي وهو في العشرين من عمره تقريبًا، ارتكب خطأً مخالفًا للقانون!

وسكت «تختخ» قليلًا، ثم عاد يقول: وبسبب هذا الخطأ دخل السجن فترةً من عمره!

صرخت «سحر» قائلة: السجن؟!

تختخ: نعم، وهو بالطبع ليس شيئًا مُشرِّفًا للإنسان، ولكن المهم أن جدَّكِ بعد أن خرج من السجن عاش حياةً شريفةً جادة، واستطاع أن يُكوِّن ثروته الضخمة، وأن يكسب محبة الناس ... ونسي ماضيه ونسيه الناس. ولكن أحد الذين كانوا معه في السجن استطاع أن يصل إليه، وأن يُهدِّده بإفشاء سرِّه!

وبالطبع كان جدُّك حريصًا على أن تظلَّ سمعتُه حسنةً بين الناس، فوقع في خطأ قَبول ابتزاز أمواله بوساطة هذا الرجل وزوجته وزميله!

قالت «سحر» بصوتٍ يخنقه البكاء: مسكينٌ يا جدِّي. لقد تعذَّبتَ كثيرًا ... عذَّبك هؤلاء الأشرار! ...

تختخ: لقد عرفْت السر ... وبالطبع لم يتغيَّر حبُّكِ لجدِّك ...

سحر: أبدًا ... أبدًا ...

تختخ: هكذا يمكن أن تعودا وتستأنفا حياتكما بدون أن يتمكَّن هؤلاء الأشرار الثلاثة من تهديد جدِّك …

سحر: المهم أن نعثر عليه …

تختخ: سنعثر عليه بإذن الله!

عندما عادت «نوسة» و«لوزة» في المساء، لم يكن عندهما أخبارٌ جديدة، قالت «لوزة»: ليس هناك شيء … لقد ظللنا نُراقب القصر فلم نجد فيه أيَّة حركة، ولم يدخله أو يخرج منه أحد. وطُفنا حوله بضع مرَّات ولم نرَ شيئًا يستحقُّ الذكر …

تختخ: لا بأس … إن عندي خطةً سوف أُنفِّذها غدًا صباحًا إذا لم يصل «محب» و«عاطف» إلى شيءٍ هذه الليلة …

نوسة: خطة لكَ وحدك؟

تختخ: لا … لنا جميعًا … أو لثلاثةٍ منَّا …

نوسة: سنلتقي غدًا صباحًا، وسوف أذهب إلى المنزل الآن؛ لأنني مُتعبةٌ جدًّا …

لوزة: وأنا أيضًا …

سحر: وسأذهب أنا أيضًا مع «لوزة» …

وخرجت الفتيات الثلاث، وبقي «تختخ» وحيدًا، وبعد لحظاتٍ وصل «محب» و«عاطف»، وقد استعدَّا لسهرة الليلة في مراقبة القصر، فقال لهما «تختخ»: كونا على حذر … فلا أحد يدري مدى شراسة هذه العصابة؛ فقد كاد الحارس أن يقتلني بالرصاص كما تعرفون … إنهم على استعدادٍ لعمل أيِّ شيء!

وانصرف الصديقان وقد غربت الشمس، وبدأ الظلام يُغَطِّي المعادي … وعندما وصلا إلى القصر اختفيا في مكانٍ بعيد، بحيث يمكنهما مراقبة باب القصر، ثم جلسا يراقبان ويتحدَّثان!

ومضى الوقت بطيئًا مُمِلًّا ولم يحدث شيء، وعندما اقتربت الساعة من منتصف الليل أخرج «عاطف» بعض السندويتشات والتهماها سريعًا، وشربا بعض الماء المُثلَّج من «ترمس» يحمله «محب»، ثم مضيا يُراقبان … كانت الشوارع قد خلت من المارَّة، وهبط صمت ثقيل على القصر الكبير والحديقة … والشوارع التي تُحيط به، فقال «عاطف»: يبدو يا «محب» أن لا شيء سيحدث. هيَّا بنا.

محب: انتظر ساعةً أخرى؛ فقد يحدث شيء. إننا نبحث عن رجلٍ مُهم، ونتوقَّع الإيقاع بثلاثةٍ من الأشرار، وهذا يستحقُّ الانتظار!

ولم يكَد «محب» ينتهي من جملته حتى سمعا صوت عدة عربات تقترب من القصر، ثم لمعت أضواء العربات في الظلام … كانت ثلاث عربات نقلٍ مُحمَّلةٍ بصناديقَ خشبيةٍ كبيرة، وسرعان ما وقفت أمام باب حديقة القصر، ونزل رجلٌ مُسرعًا ليفتح باب القصر، ثم ركب السيارة، فقال «عاطف»: فرصتنا للدخول معهم … هيًّا بنا!

وأسرع الصديقان جريًا مستترَين بالظلام، ولحقا بآخر سيارةٍ وهي تجتاز باب القصر فتعلَّقا بأسفلها. ودخلت السيارات بهدوء، ووقفت أمام باب القصر … فأسرع الصديقان ينزلان، ومرَّةً أخرى استترا بالظلام، واختفيا بجوار السلَّم الرخامي الكبير … واستطاعا أن يُشاهدا الرجال وهم ينقلون الصناديق إلى داخل القصر، فهمس «عاطف»: ماذا في هذه الصناديق؟

محب: ليس بها شيء … إنها فارغة … لاحظ السهولة التي يحملها بها الرجال … إن هذا يؤكِّد أنها فارغة!

عاطف: ولكن … لماذا؟

محب: لأنهم سيملئونها بالتحف والأثاث من القصر … واضحٌ جدًّا أن العصابة قرَّرت نهب القصر، ثم الفرار نهائيًّا حيث لا يعثر عليهم أحد!

عاطف: وما هي خطتك الآن؟

محب: سندخل القصر معًا … إنهم مشغولون الآن بملءِ الصناديق.

ودخل الصديقان بهدوء … كان الرجال مشغولين بنقل الأثاث والتحف الثمينة من أنحاء القصر الواسعة. فاختفى الصديقان خلف أحد الأبواب، وأخذا يرقبان ما يحدث!

همس «عاطف»: لا بد أن نتصرَّف بسرعة!

محب: إن أمامنا فرصةً لمعرفة مكان العصابة؛ وذلك بأن يختفي أحدُنا في أحد الصناديق، ويذهب مع العصابة إلى حيث تكون، ومن حسن الحظ أن الصناديق ليست محكمة الإغلاق.

عاطف: سأذهب أنا …

محب: بل سأذهب أنا … وعليك أن تُسرع إلى «تختخ».

عاطف: دعني أنا أذهب …

محب: لا وقت للكلام … سأنتظر حتى يملئوا أحد الصناديق إلى منتصفه، ثم أدخل فيه، وعليك أن تضع الغطاء بسرعة حتى يظنوا أنهم انتهَوا منه، ثم تنطلق بعد ذلك إلى «تختخ».

شاهد الصديقان رجلَين ينزلان من الدور الثاني ومعهما التحف الثمينة، فوضعاها في صُندوقٍ بعناية، ثم صعدا، وحضر بعدهما رجلان آخران ... وهمس «محب»: إنهم ستة رجال، ولن يعرف أحدهم ماذا يفعل الآخرون ... سننتهز أوَّل فرصةٍ لأدخل الصندوق ... والمسألة ليست شاقة؛ فالصناديق ليست محكمة الإغلاق، وسأستطيع أن أتنفس.

وانتهز الصديقان فرصةً سانحةً خلا فيها بهو القصر من الرجال، ثم أسرع «محب»، فتسلَّل إلى داخل أحد الصناديق، وتمدَّد بجوار بعض التماثيل، وأخذ «عاطف» يُحاول بكلِّ قوته، حتى استطاع أن يضع غطاء الصندوق عليه، ثم سمع صوت أقدام تنزل السلَّم، فأسرع يختبئ بجوار أحد الصناديق، وسمع أحدَ الرجال يقول: لقد ملأ «حسنين» صندوقًا وأغلقه، وسنتمكَّن من ملء بقية الصناديق.

بعد ساعتين على الأكثر نستطيع أن نملأ الصناديق، ثم نتجه إلى «مريوط» قبل الفجر! وهكذا عرف «عاطف» اتجاه السيارات، فانتهز أول فرصة وانطلق مُسرعًا إلى «تختخ».

وبعد نحو ساعة كان الرجال قد انتهَوا من ملء الصناديق وحملوها إلى السيارات، وأحسَّ «محب» بالصندوق الذي يختبئ فيه وهو يُرفع، ثم يسير به الرجال، حيث وضعوه في إحدى السيارات، وحمد اللهَ على أن الصندوقَ لم يوضع تحت بقية الصناديق ... بل كان آخر صندوق ... وهكذا استطاع أن يتنسَّم هواءً نقيًّا.

دارت السيارات في حديقة القصر، ثم انطلقت خارجةً تهتزُّ على أرض الطريق، و«محب» يُحسُّ بالتماثيل التي بجانبه تهتز وتكاد تقع عليه، فيمد يده يسندها.

ومضت السيارات في الظلام تشق طريقها مُسرعة. وفي هذه الأثناء كان «عاطف» يقف تحت نافذة «تختخ» يُطلِق نقيق البومة، على أمل أن يسمعه «تختخ»؛ فهذا الصوت هو الإشارة المُتفق عليها بين المغامرين ... ولكن «تختخ» كان نائمًا فلم يسمع شيئًا ... وأخذ «عاطف» يُفكِّر فيما ينبغي عمله، أيوقظ «تختخ» بأيِّ طريقة، أم ينتظر حتى الصباح؟ وأخيرًا استقرَّ رأيه على أن يتسلَّق الشَّجرة التي بجوار نافذة غرفة «تختخ» ... ويدق عليها ... وكان «زنجر» قد استيقظ، ووقف بجوار «عاطف»، فلمَّا رآه يصعد الشجرة أدرك أن هناك مغامرة، وأخذ ينبح ويهز ذيله في مرح. ووصل «عاطف» إلى النافذة، ومدَّ يده وأخذ يدق، فاستيقظ «تختخ» سريعًا واستمع إلى الدقات، وعرف من طريقة الدق وعدد الدقَّات أنه أحد الأصدقاء، فأسرع بفتح النافذة، وقال «عاطف» بسرعة: لقد حضرت العصابة! ... جاءوا بعدد من سيارات النقل، وحملوا بقية الأثاث والتحف التي كانت بالقصر وانطلقوا!

تختخ: إلى أين؟!

عاطف: إلى مريوط؛ فقد سمعتُهم يقولون إنهم سيصلون إليها قبل الفجر!

تختخ: إنهم يقصدون بحيرة «مريوط» عند الإسكندرية!

عاطف: و«محب» معهم؛ فقد اختبأ داخل أحد الصناديق التي أحضروها لأخذ التحف، وإذا سارت الأمور عادية، فلا بد أنه في إحدى السيارات في الطريق إلى الإسكندرية.

تختخ: ولماذا تصرَّف هكذا؟ ألم أقل لكما أن تكونا على حذر؟

عاطف: كان هذا هو الحل الوحيد لمعرفة مقرِّ العصابة!

دخل «عاطف» غرفة «تختخ»، الذي أسرع يرتدي ملابسه، ثم خرج الاثنان إلى الشارع ومعهما «زنجر».

قال «عاطف»: ماذا نفعل الآن؟

تختخ: وماذا نعمل إلا أن نذهب إلى الإسكندرية فورًا؟!

عاطف: وماذا نفعل هناك؟

تختخ: سيُحاول «محب» الاتصال بنا من الإسكندرية، ولا بد أن نكون قريبين منه حتى نستطيع التصرُّف.

عاطف: وكيف يتصل بنا في الإسكندرية؟

تختخ: لا أدري ... ولعلَّه سيتصل بنا هنا في المعادي، ويترك مع «نوسة» أو «لوزة» رسالةً لنا!

ومشى الصديقان إلى محطة المعادي يتبعهما «زنجر»، فقال «عاطف»: هل نأخذ «زنجر» معنا؟

تختخ: سنأخذه؛ فقد نحتاج إليه هناك.

ركبا القطار إلى محطة باب اللوق، و«تاكسيًا» إلى محطَّة باب الحديد، ولم يجدا قطاراتٍ في هذا الموعد، ولكنَّهما وجدا سياراتٍ كبيرةً (رميس) القاهرة–الإسكندرية، ووجدا سيارة السائق «وجيه»، وهو الذي تعرَّف به «تختخ» في لغز الفارس المُقنَّع، وكانت مغامرة الفارس المُقنَّع قد انتهت بأن أخذ «وجيه» مكافأةً ضخمة، فرحَّب بهما، وسرعان ما كانت سيارته تنطلق بهما إلى الإسكندرية.

مضت السيارة تشق طريقها مُسرعةً برغم الظلام، وفجأةً قال «عاطف» وقد تجاوزا مدينة طنطا: لعلنا نستطيع اللحاق بسيارات النقل؛ فقد تركتها تستكمل حمولتها، ولم نُضيِّع وقتًا طويلًا في منزلك. إن المُدَّة الضائعة نستطيع تعويضها لو أسرعنا.

سمع «وجيه» هذا الحديث؛ فأطلق لسيارته العِنان، ومرقت كالسهم، وأخذت تقترب شيئًا فشيئًا من مدينة الإسكندرية ... بدون أن يلتقوا بالسيارات الثلاث ... وعندما أشرفوا على مدخل الإسكندرية، قال «وجيه»: إن هذا هو اتجاه بُحيرة مريوط.

ودارت السيارة في اتجاه طريق مريوط، وقال «تختخ»: إن «زنجر» يستطيع التقاط رائحة «محب»، ولا بد أنه يُدرك أننا نُريد أن نلحق به، وقد يدلُّنا على مكانه.

وبعد ربع ساعةٍ وصلوا إلى شاطئ مريوط دون أن يجدوا السيارات الثلاث، وكان الفجر قد لاح في الأفق، وتوقَّفت السيارة، وقال «وجيه»: لم يبقَ مكانٌ يمكن أن تذهب إليه السيارة؛ فليس أمامنا سوى الماء.

شكر الصديقان «وجيه» الذي رفضَ أن يتقاضَى منهما أُجرةً للسفر، وتمنَّى لهما التوفيق، ثم ركب السيارة وعاد في اتجاه المدينة.

وجد الصديقان نفسَيهما أمام المياه الضحلة، وقد بدأ الصيادون يخرجون من أكواخهم في الطريق إلى الصيد، وقال «تختخ» موجِّهًا الكلامَ إلى «زنجر»: وماذا بعد ذلك يا «زنجر»؟ لقد وصلنا إلى طريقٍ مسدود!

فهم «زنجر» ما يقصده «تختخ»، فمضَى يتنسَّم الهواء، ويجري هنا وهناك، ثم انطلق في اتجاه أكواخ الصيادين ... وأشرف الثلاثة على مخزنٍ كبير، فأوقف «تختخ» «زنجر» ونظر إلى الأرض، وقال لـ «عاطف»: انظر، إن على الأرض آثار سيارات ... لقد دخلت السيارات هذا المخزن، فتعالَ نختبئ هنا!

وبين الأعشاب الكثيفة على شاطئ البحيرة اختفى الثلاثة وهم يُركِّزون أنظارهم على المخزن.

في تلك الأثناء كان «محب» داخل الصندوق الخشبيِّ قد أحسَّ بوقوف السيارات في مكانها، وسمع صوت الرجال يتحدَّثون، ثم شعر بالصندوق الذي اختفى فيه يُرفَع من السيارة ويوضَع على الأرض ... وأدرك أن الوقت قد حان ليخرج من مكانه؛ فرفع غِطاء الصندوق ببطء شديدٍ ليرى أين هو، ولكن ما كاد يفعل هذا، حتى سمع صوت أحد الرجال يقول: يُخيَّل لي أنني رأيتُ غطاء هذا الصندوق يتحرَّك! فردَّ رجلٌ آخرُ ضاحكًا: إن السهر قد أثر على رأسك ... أو إن في الصندوق بدل التماثيل إنسانًا حيًّا!

أنزل «محب» غطاء الصندوق مكانه وقلبه يدق سريعًا؛ فقد كادُوا يكتشفون مكانه، وأخذ يُفكِّر فيما يفعل، وتشمَّم رائحة البحر، وأدرك أنه قريبٌ منه ... فماذا تفعل العصابة عند البحر؟

سمع «محب» صوت أقدامٍ تقترب من الصندوق، وسمع صوت أحد الرجال يقول: إن التحف الأثرية كلَّها ستُهرَّب إلى خارج مصر؛ فسوف تُصدَّر في داخل صناديق الفاكهة!

قال الآخر: يجب أن تصل هذه الصناديق إلى باب ستة في الوقت المناسب!

وتذكَّر «محب» على الفور ما قاله «تختخ» عن باب ستة، وتساءل: أين هو؟

وأخذ «تختخ» و«عاطف» و«زنجر» يقتربون من المخزن في هدوء، حتى وقفوا خلفه تمامًا، وأخذ «تختخ» يُنصت إلى ما يحدث في داخل المخزن، ثم قال لـ «عاطف»: قف هنا مع «زنجر»، وسأدور أنا حول المخزن لأرى ما يمكن عمله.

دار «تختخ» حول المخزن في حذرٍ شديد، ولاحظ أنه مقسَّم إلى جزأين؛ جزء يُستخدَم كـ «جراج» للسيارات، والآخر حلقة لشراء السمك تفتح أبوابها على الماء ... وعندما وصل إلى زاوية المخزن وقف بحذرٍ شديد، ثم أطلَّ في هدوء ورأى الرجال جميعًا يجلسون في حلقة يتناولون إفطارهم ويتكلَّمون، وتأكَّد أن «الجراج» خالٍ في هذه اللحظة.

أسرع إلى «عاطف» و«زنجر» وهمس: علينا أن ندخل فورًا من باب المخزن الخلفي حتى يمكننا أن نجد «محب».

وتقدَّموا من باب المخزن في هدوء، ثم مدَّ «تختخ» يده وفتح الباب في بطءٍ شديد، وأحدث الباب صوتًا، فتوقَّف «تختخ» ينصت، ولكن أحدًا لم يظهر، ففتح الباب وتسلَّل الثلاثة إلى الداخل ... كان المخزن مظلمًا لا تُنيره سوى بعض الأشعة التي تتسلَّل من شقوق الحوائط، ووقف الثلاثة لحظات، ثم بدأ «تختخ» يقول: «محب» ... «محب» ... أين أنت؟

ولكن قبل أن يرد «محب» كان «زنجر» قد اندفع إلى أحد الصناديق وأنشب فيه مخالبه، فأسرع «تختخ» و«عاطف» إليه، ورفعا الغطاء ووجدا «محب»، وقد فتح عينَيه رُعبًا؛ فقد ظنهم من رجال العصابة!

ساعد «تختخ» و«عاطف» صديقهم «محب» على الخروج من الصندوق بعد النومة الشاقة التي استمرت ساعات، وقال «محب» مُسرعًا: إنهم سيُحاولون تهريبَ بعضِ التماثيل الثمينة إلى خارج مصر عن طريق باب ستة!

وقال «تختخ»: باب ستة!

محب: نعم ... لقد سمعتُهم يقولون هذا!

تختخ: لقد كانت رحلتك مفيدةً لهذا السبب وحده ... فنحن لا نستطيع مصارعة العصابة ... ولكن نستطيع الإبلاغ عنها الآن لقيامها بالتهريب!

محب: هل تذكر أن باب ستة جاء في مذكِّرات الأستاذ «إلهامي»؟

تختخ: طبعًا ... إنني أُفكِّر في المصادفة العجيبة التي جمعت بين الأستاذ «إلهامي» وهذه العصابة، وباب ستة!

عاطف: إنكما تتحدَّثان وكأنكما تجلسان في الحديقة ... ونسيتُما أن العصابة على بُعد أمتارٍ منا!

قفز «تختخ» ناحية الباب، وخلفه «محب» و«عاطف»، وفي هذه اللحظة خُيِّل إليهم أنهم سمعوا أنينًا يصدر من أحد أركان المخزن المُظلمة! توقَّفوا جميعًا في ذُهول ... وتأكَّدوا من الأنين عندما تكرَّر من نفس المكان ... ونظر الأصدقاء بعضهم إلى بعض، ثم تقدَّم «محب» من مصدر الأنين في الركن المظلم، وانحنى على كمية من القش كان الأنين يصدر من تحتها، ثم أزاحه بيده، وأطلق صيحة دهشةٍ عندما شاهد رجلًا قصيرًا ومُكمَّمًا ملقًى على الأرض القذرة!

أشار «محب» للصديقَين فأقبلا مُسرعَين، ولم يكد «عاطف» يرى الرجل المربوطَ حتى صاح: الأستاذ «إلهامي»!

كان «عاطف» يعرفه؛ فقد كان يذهب هو و«لوزة» كثيرًا لزيارة «سحر».

انحنى الأصدقاء الثلاثة على الأستاذ «إلهامي»، وأخذوا يفكُّون وثاقه في سرعة؛ فقد كانوا مُهدَّدين بكشف موقفهم في أيَّة لحظة.

كان الرجل العجوز في حالةٍ يُرثى لها ... مُمزَّق الثياب، شاحب الوجه، مُرهق الجسم ... وأخذ ينظر إليهم في ذهول؛ فلم يكن يعرفهم، أو يتذكَّر أنه رأى «عاطف» من قبل.

قال «تختخ»: سنأخذه معنا!

واستند الأستاذ «إلهامي» على «عاطف» و«محب»، في حين سبقهم «تختخ» يستطلع الطريق ... كان كلُّ شيءٍ هادئًا خارج المخزن، فتسلَّل الأصدقاء ومعهم الأستاذ «إلهامي» خارجين، وساروا يتلفَّتون خلفهم، وهم يُحاولون الاختفاء في الأعشاب التي تُجاور الشاطئ ... ولكن فجأةً ارتفع صياحٌ من المخزن، وصاح «تختخ»: لقد اكتشَفوا اختفاء الأستاذ «إلهامي»! أسرِعوا إلى المياه ... فلو جرينا على الأرض فسيلحقون بنا بالسيارات!

كان هناك قارب ذو مجاذيف قريبًا منهم، فأخذوا يجرُّون الأستاذ «إلهامى» مُحاولين كسب الوقت قبل أن يراهم أحد ... وعندما استطاعوا وضعه في القارب، وقفز خلفهم «زنجر» ... كان بعضُ أفراد العصابة قد خرجوا من المخزن. أخذوا ينظرون هنا وهناك، ووقع بصرهم على القارب الصغير وبه الأستاذ «إلهامي» والأصدقاء، وسرعان ما كانوا يجرون في اتجاههم.

أمسك «تختخ» بمجذافَين، و«محب» بمثلهما، وأخذ الصديقان يُجذِّفان بشدةٍ في محاولةٍ للابتعاد عن الشاطئ قبلَ وصول رجال العصابة ... وفعلًا نجحا في الدخول إلى المياه العميقة، وأخذت سرعة القارب تتزايد.

قال «محب»: إنهم لم يطلقوا علينا النار!

ردَّ «تختخ»: لعلهم يخافون أن يسمع رجال خفر السواحل؛ فهم قريبون منَّا.

بعد دقائق كان رجال العصابة يستقِلُّون قاربًا آخر، وقد شمَّروا عن سواعدهم في محاولة مُستميتة للَّحاق بقارب الأصدقاء. كان رجال العصابة أقوى، وقاربهم أكبر، وبدأت المسافة تضيق بين القاربَين خلال دقائق قليلة.

قال «تختخ»: إنهم سيكسبون السباق ... فلْنتَّجه إلى الشاطئ مرَّةً أُخرى!

عاطف: ولكن قد يكونُ بعض أفراد العصابة هناك!

محب: وما الحل؟

تختخ: نتجه إلى نقطة خفر السواحل ... ونصيح في طلب النجدة قبل أن نصل إلى الشاطئ.

تناقصت المسافة بين القاربَين سريعًا ... وبدت الوجوه الشريرة تظهر ... وأحسَّ الأصدقاء أنهم لو وقعوا فسيلقَون أشدَّ أنواعِ الانتقام.

ولم يبقَ سوى أمتارٍ ويلحق بهم القارب الكبير، ولم يقتربوا بعدُ من نقطة خفر السواحل ... ثم تناقصت المسافة مترًا ... فمترًا ... ولم يبقَ سوى أقل من متر، وصاح أحدُ رجالِ العصابة: توقَّفوا وإلا ...

كان الرجل واقفًا في القارب يُهدِّدهم ببندقيَّة ... وفي هذه اللحظة حدث شيءٌ مُدهش ... لقد استجمع «زنجر» قوَّته، ثم قفز قفزةً رائعةً على الرجل الواقف في القارب ... ولم يتمالك الرجل نفسه، ومال بشدة، ثم سقط ... ومال معه قارب العصابة، وانقلب في الماء وبه جميع الرجال.

صاح «تختخ»: لقد فعلها «زنجر» البطل!

عاطف: ولكنهم قد يقتلونه!

محب: ولكن لن نستطيع التوقُّف!

ومضى القارب يشق طريقه مسرعًا إلى الشاطئ ... ووصلوا إلى نقطة خفر السواحل ... وأسرع «محب» يقفز إلى الشاطئ ... واتجه مُسرعًا إلى النقطة، وقابل الضابط ... وفي كلماتٍ قليلةٍ شرح له كلَّ شيء.

أسرع الضابط إليهم ... ونقل رجال السواحل الأستاذَ «إلهامي» إلى الشاطئ؛ فقد كان في حاجةٍ إلى إسعافٍ سريع ... وبعد لحظاتٍ كان قارب رجال خفر السواحل يشق طريقه إلى حيث غرق قارب العصابة ... وكان الرجال يُحاولون الوصول إلى الشاطئ عائمين ... وكان «زنجر» يعوم مُسرعًا حتى لا يقبضوا عليه.

دار قارب رجال خفر السواحل دورةً واسعة، انتشل فيها رجالَ العصابة واحدًا واحدًا ... ثم اتَّجه إلى المخزن حيث أشار الأصدقاء ... وتم القبض على بقية أفراد العصابة، وأُخطر رجال الشرطة، وبعد لحظات كان المخزن يعج بالرجال.

بعد ساعةٍ من هذه الأحداث ... كانت سيارةٌ تحمل الأصدقاء و«زنجر» ... والأستاذ «إلهامي» إلى المعادي، وقال «عاطف»: أرجو أن يتمكَّن الأستاذُ «إلهامي» من استرداد ذاكرته ليرويَ لنا ما حدث.

ردَّ «تختخ» وهو يربت على رأس «زنجر» البطل: عندما يرى «سحر»، ويعود إلى القصر؛ سيتذكَّر كلَّ شيء، ويروي لنا قصته كاملة.


هنداوي